جَوَامِعُ الْكَلِمِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَانْتِظَامِهَا مَعَ الْمَعَانِي التَّفْسِيرِيَّةِ لآيِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ

"دراسة أسلوبية تركيبية"

د. أحمد مصباح اسحيم
كلية التربية – جامعة بنغازي

مقدمة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف النبيين سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن المعلوم عند دارسي العربية وعلوم القرآن والسنة أن كتاب الله العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، معجزٌ لفظاً ونظماً ونصاً، هذا الكتاب المعجز تشرحه السنة المشرفة **[الحديث]** تخصيصاً وبياناً وتوضيحاً وفق ما هو مثبتٌ في العلوم الإسلامية وفي مقدمتها: **[أصول الفقه وأدلة الأحكام]** وتتجسد أمام القارئ المتخصص مثل هذه الأمور عند قراءته تفسير الإمام (**القرطبي:671 هـ**) الجامع لأحكام القرآن؛ لما فيه من الجمع بين الأدلة وشرح الآية الكريمة وبيانها بالسنة المطهرة **[الحديث]**.

والأمر نفسه في شروح دواوين السنة كشروح الصحيح والسنن التي وضع لها أصحابها منهجاً خاصاً وترتيباً يجمع ما بين معاني الأحاديث ومناسبات الآيات القرآنية لها، وهو بلا شك تبويب وترتيب يراعي المعنى والاتفاق في الموضع الواحد والفكرة المتفقة شرحاً وتوضيحاً.

ولذلك الجمع أي بين الآية والحديث حكمته ودلالته وبركته، يقول العلامة (**أبو الفيض حمدون بن الحاج السلمي الفاسي:1232 هـ**) رحمه الله: "كنت وأنا أُدَرِسُ الصحيح أُبَيِّنُ في كل باب أصله من الكتاب فرأيت في النوم كأن في حِجْرِي لوحاً أخضر مُرَصَعاً بجواهر ترصيعاً، ولا يُرَى مثله، ولا أرى حداً للوح في الارتفاع إلى السماء فأَوَلْتُ اللوح بالكتاب والجواهر المرصعة بالأحاديث المبينة المكملة لحسنه، وفي ذلك يقول رحمه الله:

كَأَنَ كِتَابَ اللهِ مَنْسُوجُ سُنْدُسٍ وَلَفْظُ رَسُولِ اللهِ طَرْزٌ مُعَلَمُ "[1]

وما وجه ذلك–أي الجمع – بين معنى الآية ودلالة الأحاديث في المعنى الواحد إلا أن الأحاديث مبينة لما في كتاب الله، وقد وضح رحمه الله ذلك بقوله:

وَذَلِكَ فِي تَاجٍ بِتُومَةً انْجَلَتْ وَفِي شِبْهِ تَاجٍ مِنْهُ دُرٌ مُنَظَّمُ

التاج هي: **آل عمران** وشبهها: **الإسراء**، واقترب، **وسبأ**، **وص**، **والذاريات**، **والرحمن**، **والمنافقون**، **وهل أتى**، **وعبس**، **والضحى**، **والقدر**، **والإخلاص**، حيث أشار إلى أن الله تعالى أشار في **آل عمران** ونظائرها إلى أن الحديث مبين للكتاب العزيز، ففي **آل عمران**: **{وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ}** [**الآية4**]، ومعلوم ما قيل فيه، ولا يبعد أن يحمل أيضاً على بيان الرسول ﷺ، ألا ترى إلى ذكر المبتدعة داخل السورة التي ما ضلت ولا أضلت إلا من حيث ضلت عن سنة رسول الله ﷺ"[2].

ما تحاوله هذه الدراسة هو البحث في المعاني التفسيرية لآي الذكر الحكيم المتفقة مع عبارات الحديث الشريف.

اختير من الحديث الشريف النموذج الخاص بجوامع الكلم؛ لما فيه من عمق تعبيري وجمعٍ واختصارٍ لمعانٍ كبرى ترد مجملةً حيناً ومفصلةً حيناً آخر في القرآن الكريم.

كما تتبنى هذه الدراسة البحث عن دلالات الجمع والاختصار في الحديث الشريف وتبويب المحدثين للعبارة الحديثية المختصرة حيناً في تراجم الأبواب والمبينة أحياناً أخرى في أبواب الموضوعات مع إبراز محاسن ترتيبها وتبويبها عندهم.

يشرح الحديث الآية ويبينها، والآية تخصص الحديث أو يُخَصَصُ بها، هذه أدوات وعلوم تُرَى مضامينها في بعض كتب التفسير وفي مقدمتها كتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام (**القرطبي**) الذي يشير إلى جانب مهم من دلالات الاتفاق في المعنى الواحد بين الآية والحديث ويسميه انتظاماً، كما يرد مثل ذلك عند شيخه (**أبي العباس القرطبي:656 هـ**) صاحب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم في مقالاته إذ يقول بأن معنى الحديث منتزع من آية كذا أو كذا.

ومن خلال **[الانتزاع والانتظام]** نشأت فكرة هذا الكتاب مع ما صاحبها من المباحث البلاغية والأسلوبية كالترتيب، والتناسب، وبراعة الاستهلال، وحسن التخلص، وبراعة الختم، وغيرها.

ويمكن للقارئ المتخصص أن يصنف هذه الدراسة ضمن بلاغة الحديث أو بلاغة أسلوب الجمع في القرآن والحديث، أو الخصائص الأسلوبية لبلاغة القرآن والحديث.

ومن باب التنبيه فإنني عندما أقول بانتظام الآية مع الحديث أو بانتزاع معنى الحديث من الآية لا أقصد استواء العبارتين من حيث القائل، فالآية وحيٌ من الله قطعاً، والحديث على لسان رسول الله ﷺ، يقول الإمام (**القرطبي**) رحمه الله:"

بلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات البيان، بل تجاوزت حد الإحسان والإجادة إلى الإرباء والزيادة، هذا رسول الله ﷺ مع ما أُوتِيَ من جوامع الكلم، واخْتُصَ به من غرائب الحكم، إذا تأمَلْتَ قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الجنان، وإن كانت في نهاية الإحسان، وجدته منحطاً عن رتبة القرآن في قوله صلى الله عليه وسلم:" فِيهَا مَا لاعَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ" فأين ذلك من قوله عز وجل: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ هذا أعدل وزناً وأحسن تركيباً وأعذب لفظاً، وأقل حروفاً، على أنه لا يعتبر إلا في مقدار سورة أو أطول آية؛ لأن الكلام كلما طال اتسع فيه مجال المتصرف، وضاق المقال على القاصر المتكلف، وبهذا قامت الحجة على العرب إذ كانوا أرباب الفصاحة"[3] .

إذن هذا هو ما أقصده عن معنى الاتفاق بين الحديث والمعاني التفسيرية له في كتاب الله عز وجل.

وسيكون التركيز على المعنى في الحديث الشريف باعتباره المبين لما في القرآن أو الموضح له إذ إن " السنة شارحة للقرآن الكريم مفصلة لمجمله، مقيدة لمطلقه، مخصصة لعامه، مبينة لمبهمه، مظهرة لأسراره كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (44 النحل) ومن هنا يقول (**يحي بن كثير: 129هـ**): السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب قاضيا على السنة ، يريد بهذه الكلمة ما وضحه (**السيوطي:1505هـ**) بقوله: والحاصل أن معنى احتياج القرآن إلى السنة أنها مبينة له ومفصلة لمجملاته لأن فيه فضلاً عن وجازته كنوزاً يحتاج إلى من يعرف خباياها فيبرزها، وذلك هو المنزل عليه صلى الله عليه وسلم؛ لأنها بينة بنفسها إذ لم تصل إلى حد القرآن في الإعجاز والإيجاز؛ لأنها شرح له وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشروح"[4].

بناء على هذا الطرح أي المعاني التفسيرية في القرآن الكريم وهي المقصودة بالبيان مع عبارات الحديث أسلوبياً وتركيبياً، وليست آيةً في مقابل حديث كما قد يُعْتَقَدْ.

عبارات الحديث المختارة هي من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام التي أثبت جلها (**ابن رجب الحنبلي:795 هـ**) رحمه الله في كتابه جامع العلوم والحكم مع معانيها الْمُفَسَرَةِ في القرآن الكريم، الهدف منها البحث في خصائص المعاني والدلالات التركيبية بين أنوار الوحي قرآناً وحديثاً، وجعلتها تحت عنوان:

جوامع الكلم في الحديث الشريف وانتظامها مع المعاني التفسيرية لآي الذكر الحكيم–دراسة أسلوبية تركيبية

وفيما يلي بيانٌ للمنهجية المتبعة في صياغة هذا البحث:

- **مقدمة البحث**: وضعت فيها تعريفاً موجزاً بفكرة الكتاب ومنطلقات أفكاره ورؤية صاحبه، ومرجعيات كل ما يحاول إبرازه في هذا العمل.

- **مدخل الدراسة**: وعنوانه [القرآن والحديث من جوامع الكلم إلى الانتظام].

جعلت هذا المدخل خاصاً للتعريف ببلاغة القرآن والحديث، ونبذة عن سمات كلامه صلى الله عليه وسلم الكلامية والأسلوبية، معرفاً بخاصية جوامع الكلم في القرآن والحديث، وكذلك التأليف في لغة الحديث بحثاً ودراسةً، موضحاً قيمة الانتظام بين القرآن والحديث وأسميت ذلك بـ **[انتظام القرآن والحديث–بلاغة النورين–القيمة والمضمون]**.

- **مصطلحات الدراسة ونماذجها المختارة من الاختيار إلى الإجراء:**

خصصت لمصطلحات الدراسة ثبتاً تعريفياً لها قبل الولوج إلى موضوعات الكتاب؛ ليتسنى للقارئ الوقوف على معنى كل مصطلح يصادفه، وجاء ترتيب هذه المصطلحات وفق ترتيب حروف العربية **[الترتيب الألفبائي]** مع بيان مدلولها الإجرائي في ثنايا العرض، ثم أتبعت هذا الثبت الاصطلاحي بالنماذج المختارة من عبارات الحديث الشريف.

- القيمة اللغوية والأسلوبية في الحديث الشريف من خلال النماذج المختارة–أسلوبياً وتركيبياً:

أدرس في هذا القسم النماذج المختارة للدراسة وذلك بعرض معانيها العامة، وبيان ألفاظها، وقد جعلت ذلك ضمن مستويين هما:

- **الأسلوب والتأليف.**
- **البنية والتركيب.**

إذ يتيح هذان المستويان عرض مدلولات الألفاظ داخل عبارات الحديث بناء على خصائص الأسلوب والتركيب الذي ورد به الحديث وانتظمت معه المعاني التفسيرية للآية الموافقة له في المعنى والفكرة، وقد سار ذلك على نحو مقارن؛ لإظهار القيم اللغوية والسمات الأسلوبية لأنوار الوحيين الكريم والشريف.

- **خاتمة البحث:**

ذيلت هذه الدراسة بخاتمة تتضمن نتائج الدراسة وما توصلت إليه وجعلتها على هيأة نقاط، أتتبع بها ما جاء في الكتاب بدءاً من المستويين المشار إليهما في الدراسة ألا وهما: **[الأسلوب والتأليف، والبنية والتركيب]**.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

وضعت في نهاية البحث ثبتاً بمصادره ومراجعه التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة.

- **فهرس البحث:**

وضعت في آخره فهرساً بموضوعات البحث؛ تيسيراً على القارئ للوصول إلى غايته ومراده من أي جزئية جاءت فيه.

وفي الختام أحمد الله تعالى على جميل عونه وحسن توفيقه إذ الحمد منه وإليه.

القسم الأول:

مدخل الدراسة: القرآن والحديث من جوامع الكلم إلى الانتظام

مصطلحات الدراسة ونماذجها المختارة من الاختيار إلى الإجراء

1. 1 مدخل الدراسة: القرآن والحديث من جوامع الكلم إلى الانتظام

اختار الله نبيه محمداً ﷺ لحمل رسالته، واصطفاه لأداء أمانته، وهيأ له أسباب الأداء والتبليغ من فصاحة وبلاغة، فمنذ أن كان طفلاً رعته عناية الله واستمرت هذه العناية حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، قال عليه الصلاة والسلام:" **أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِي مِنْ قُرَيْشٍ وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ**" [5]. ويخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه أنه ذات يوم جاءه ملكان وهو صغيرٌ يلعب مع الصبية في نجران فأخذاه من بينهم، وأجلسه أحدهما على ركبته، ثم شقا صدره الشريف وأخرجا منه علقة سوداء، وغسلا قلبه في طِسْتٍ به ماءٌ وثلجٌ، ثم أرجعاه إلى موضعه[6]؛ ليكون هذا الصدر المنشرح محطة استقبالٍ لوحي الله تعالى وأنواره المنزلة عليه. عرف بين قومه بالصادق الأمين، ولا يكون الصدق إلا إشارةً للكلام الصادق الصادر عن قائله، ويشهد لذلك أيضاً أقرب الناس للصادق الأمين عليه الصلاة والسلام زوجه، وأهل بيته، وخادمه، وصحابته رضوان الله عنهم، تقول السيدة (**عائشة رضي الله عنها** :58 هـ):" **لَمْ يَكُنْ كَلاَمُ رَسُولِ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ**

سَرْداً كَسَرْدِكُمْ، وَلَكِنْ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلاَمٍ فَصْلٍ يَحْفَظهُ مَنْ سَمِعَهُ"[7]. وعن (**أَنَسٍ:93هـ**) ﷺ أنَ **النَبِي** ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَمَ بِكَلِمَةً أعَادَهَا ثَلاَثاً حَتَى تُفْهَمَ وَإِذَا أتَى قَوْماَ فَسَلَمَ عَلَيْهِمْ سَلَمَ ثَلاثاً"[8].

وعند انتقاله إلى دار هجرته المدينة المنورة وأثناء سيره إليها يحل ضيفاً على (**أم معبد الخزاعية رضي الله عنها:...هـ**) التي لم تكن تعرف رسول الله ﷺ، وحينما وصفته لزوجها فقالت عن كلامه عليه الصلاة والسلام:" **كَأَنَ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٍ نُظِمْنَ"**[9]، وبعد أن أنيرت يثرب بنوره عليه الصلاة والسلام يخبرنا خادمه **أنس** رضي الله تعالى عن خُلُقِهِ ﷺ ولطافة منطقه:" **مَا مَسَسْتُ دِيبَاجاً وَلَا حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِ رَسُولِ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ فمَا قَالَ لِي قَطُ أُفٍ وَلَا لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ لِمَ فَعَلْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ لمْ أفْعَلْهُ ألَا فعَلْتَ كَذَا وَكَذا"** [10].

هذا غَيْضٌ من فيضٍ عن رعاية الله تعالى لرسوله ﷺ فيما يتعلق بكلامه ومنطقه، وهذه شهادات الناس عنه وعن صدق كلامه وحسن منطقه.

أُيِدَتْ هذه الرعاية بالوحي وإنزال القرآن الكريم عليه ﷺ؛ ليتحقق بذلك التأييد الإعجاز والتحدي لأهل الفصاحة وأرباب البيان قال تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى عَلَمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [11]، وقال أيضاً: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِي مُبِينٍ**﴾ [12].

تلك إذن مِنَحُ الله تعالى لنبيه ﷺ لم التي يقول عنها رسول الله ﷺ: " **بُعِثتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُعْبِ، وَبَيْنَا أنَا نَائِمٌ أُوتِيتُ بِمَفَاتِيحِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي"**[13].

يخبرنا الرسول ﷺ عن نفسه أن الله قد آتاه جوامع الكلم أيده بالقرآن الذي آمنت به الجن قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [14].

وسمعه أرباب الفصاحة والبيان من كفار قريش فأذعنوا له وأقروا بفصاحته وبيانه، قال فيه (**الوليد بن المغيرة:7 هـ**):" والله لقد سمعت منه كلاماً ما هومن كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشرٌ، فقالت قريش: صبا الوليد لتصبون قريشٌ كلها" [15].

إذن القرآن الكريم المعجز لفظاً ونصاً ونظماً مع جوامع الكلم تلكم الخاصية التي تميز بها كلام النبي صلى الله عليه وسلم جعلهما الله تعالى أداتين للإبلاغ وحجتين للإقناع.

إذا أُمْعِنَ النظر في قوله ﷺ:" **أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**"[16] نجد أن بعض أهل العلم يقصرونها تارة على القرآن الكريم، وتارة أخرى على الحديث الشريف فعلى أيهما تنطبق هذه الصفة- جوامع الكلم-؟

ذكر (**ابن حجر:852 هـ**) رحمه الله عن (**الزهري:134 هـ**):" أن النبي ﷺكان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني، وجزم غير الزهري بأن المراد بجوامع الكلم القرآن؛ بدليل قرينة بُعِثْتُ، والقرآن هو الغاية في إيجاز اللفظ واتساع المعاني، وعند البخاري رحمه الله: أن الله ﷻ يجمع لنبيه ﷺ الأمور الكثيرة كانت تكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين" [17].

من خلال هذا النص يتبين لنا أن صفة **[جوامع الكلم]** تشمل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ لأنهما أداتان خص الله تعالى بهما رسوله صلى الله عليه وسلم زيادة في التأييد والتمكين.

وسأعرض جملة من أسلوب جوامع الكلم سواء في القرآن أو في الحديث، وهي:

قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [18]

يقول (**القرطبي**) رحمه الله: " هذا من الكلام البليغ الموجز، ومعناه لا يقتل بعضكم بعضاً"، ففي الكتب المتقدمة كانت العبارة: القتل أنفى للقتل، فجاءت عبارة القرآن أفصح وأبلغ وأوجز، قال أبو العالية: جعل الله القصاص حياةً فكم من رجل يريد أن يقتل فتمنعه مخافة أن يقتل" [19].

ومنها أيضاً: قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [20].

ذكر الإمام (**القرطبي**) رحمه الله لهذه الآية قصة تدل على عظيم معناها " ذكر أسلم أن (**عمر بن الخطاب**) بينما هو قائمٌ في مسجد النبي ﷺ، وإذا رجل من دهاقين الروم قائم على رأسه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقال عمر: وما شأنك ؟ قال: أسلمت لله، قال عمر: هل لهذا سبب؟ قال: نعم، إني قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيراً من كتب الأنبياء فسمعت أسيراً يقرأ آيةً من القرآن جمع فيها كل ما في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت، قال : وما هي هذه الآية؟ قال: قوله تعالى: ﴿ **ومن يطع الله** ﴾ في الفرائض، ﴿ **ورسوله** ﴾ في السنن، ﴿ **ويخش الله** ﴾ فيما مضى من عمره، **[ويتقه]** فيما بقي من عمره، فأولئك هم الفائزون والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة، فقال عمر: قال النبي ﷺ: " **أوتيت جوامع الكلم** "[21].

هذان دليلان على ثبوت خاصية جوامع الكلم في القرآن الكريم، أما في الحديث الشريف فهي واضحة بينة، يضاف إليها قيد آخر مهم تفرد ببيانه الإمام (**القرطبي**) في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، حيث يقول رحمه الله عند حديثه عن حكم قيام الليل وبعد أن ساق أحكامه وأدلته من السنة النبوية في ذلك خلص إلى هذه المقالة:" قال علماؤنا: وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقرآن فإنهما يبصران من مشكاة واحدة"[22].

والانتظام المقصود هنا يدل على معنى التوافق أو المطابقة في الحكم الفقهي من جهة، ولكنه ليس ببعيد عن المدلول الأسلوبي نظماً ونصاً، وسيأتي الكلام عن هذا المصطلح قريباً.

أما جوامع الكلم في الحديث النبوي الشريف فهي كثيرة أختار منها المشهور عند أهل الحديث والفقه، يقول (**ابن رجب الحنبلي**) رحمه الله: اشتهر عند المحدثين والفقهاء الخمسة أحاديث من الأحاديث الجوامع عليها مدار الشرع ألا وهي:

قوله ﷺ:" **إِنَمَا الْأَعْمَالُ بِالنِيَاتِ**"، و" **الْحَلاَلُ بَيِنٌ والْحَرَامُ بَيِنٌ**"، و" **مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُواْ مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**" ، " **وَلَا ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ**"[23].

ومنها أيضاً قول النبي ﷺ:" **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**"، وفيه يقول (**الإمام النووي: 676هـ) رحمه الله:**" هذا مما ينبغي حفظه وإشهاره"[24] يقول (**ابن حجر:852هـ**) رحمه الله: " **هذا الحديث معدود من أصول الدين وقاعدة من قواعده، وقد سماه بعض العلماء بأنه نصف أدلة الشارع**"[25].

هذا عن أشهر سمة من سمات كلامه ﷺ ألا وهي جوامع الكلم التي منحها الله تعالى له، وجعلها قبل ذلك سمة كبرى من سمات كتابه العزيز ناهيك عن فصاحته وإعجازه.

وأضيف إلى سمة جوامع الكلم في حديثه ﷺ ملمحاً آخر هو الانتظام الذي أشار إليه (**القرطبي**)، الذي أحاول دراسته في هذا الكتاب، وقد سبق أن أشرت إليه في دراسة سابقة"[26]، وأفرده اليوم بالعرض والبحث؛ باعتباره سمة أسلوبية تتحقق من خلالها فكرة الإعجاز النبوي مؤيدة بأنوار الوحي ويجتمع بذلك نورا القرآن والحديث في مشكاة النبوة، يقول (**أبو حيان:400هـ**) رحمه الله: " ونعلم قطعاً من غير شكٍ أن رسول الله ﷺكان أفصح العرب فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأجزلها وأشهرها، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة عن طريق الإعجاز، وتعليم الله له من غير معلم"[27] .

تحاول هذه الدراسة البحث في جانب معين في لغة الحديث الشريف ألا وهو:

[انتظامه مع المعاني التفسيرية لآي الذكر الحكيم] شرحاً ومعنىً، وكيف تحققت في شروحها دلالات لغوية وأسلوبية وبلاغية كثيرة، وهو جانب لم يتطرق إليه أحدٌ بالبحث أو الدراسة.

1-1التأليف في لغة الحديث الشريف:

بأمر من الخليفة (**عمر بن عبدالعزيز:110 هـ**) ابتدئ بجمع الحديث النبوي الشريف من صدور الرجال وأفواه الرواة، وظهرت دواوين السنة ومجاميع الحديث في عدة صور: منها ما كان على هيأة أجزاء صغيرة كمجموع (**ابن جريج:90هـ**) بمكة، (**وابن شهاب الزهري**)، (**والإمام مالك:179هـ**) في موطئه بالمدينة المنورة، إلى أن جاءت المسانيد كمسند (**الإمام أحمد:241هـ**)، و(**أبي داوود الطيالسي:204هـ**)، التي صاحبتها ظهور كتب الصحيح كصحيحي (**البخاري:246هـ**)

و(**مسلم:261هـ**)، والسنن كسنن (**أبي داوود**)، و(**الترمذي:279هـ**)، و(**النسائي:303هـ**)، و(**البيهقي:458هـ**)، و(**ابن ماجه:273هـ**)."28

ثم شرحت هذه المجاميع شروحاً امتزجت فيها معارف الأمة الإسلامية فقهاً ولغةً، بُيِّنَتْ من خلالها أسانيدها ورواتها، كما شرحت فيها الألفاظ والنصوص الحديثية تبعاً للأحكام الفقهية الخاصة بها، وقد تخلل هذه الشروح بعض الاهتمام بجانب اللغة والمعنى في عبارات الحديث.

لم يدخل علماء العربية الحديث الشريف ضمن شواهد الموضوعات النحوية المستدل عليها بكلام العرب وبالقرآن الكريم"29، وقد كان هذا قبيل جمع الحديث الشريف وتدوينه، وحجتهم في ذلك تعدد روايات الحديث، وكذلك الرواية بالمعنى، وعدم التثبت من إسناد الحديث إلى رسول الله ﷺ إلا أنه بعد مجيء (**أبي حيان الأندلسي في القرن الثامن الهجري:1344م**) وصاحب ألفية (**ابن مالك:1274م**) رحمهما الله دخل الحديث الشريف دائرة الاستشهاد النحوي بعد أن تم جمعه والتثبت من رواياته وأسانيده.

ظهر أثناء جمع الحديث النبوي الشريف وتدوينه علم الحديث **[رواية ودراية]** وأخذت علوم أخرى تنبجس من مشكاة الوحي علماً تلو الآخر، ومن بين علوم الحديث القائمة على أساس البحث في لغة الحديث **[علم غريب الحديث]** الذي عرفه (**ابن الصلاح:643هـ**) رحمه الله:" عبارة عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة؛ لقلة استعمالها"5، وقد عرفه (**الزمخشري:1144هـ**) بقوله:" كشف ما غرب من ألفاظ الحديث واستبهم، وبيان ما اعتاص من أغراضه واستعجم"30.

ويمكننا أن نعتبر جهود علماء اللغة وعنايتهم بألفاظ الغريب البداية الأولى للعناية بالحديث النبوي الشريف من حيث لغته ومعانيه، ومن هؤلاء العلماء الذين اعتنوا بغريب الحديث:

أبوعبيد القاسم بن سلام [224هـ] وكتابه غريب الحديث.

أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة [267هـ] وكتابه غريب الحديث.

أبوإسحاق إبراهيم بن محمد الحربي [285هـ] وكتابه غريب الحديث.

أبوسليمان حمد بن محمد الخطابي [388هـ] وكتابه غريب الحديث.

والزمخشري محمود بن عمر [538هـ] وكتابه الفائق في غريب الحديث.

وأبوالسعادات المبارك بن الأثير [606هـ] وكتابه النهاية في غريب الحديث والأثر.

أما من جهة علم النحو والإعراب فإنها-جهود علماء العربية-قليلة مقارنة بالعناية بالجانب الدلالي والمعجمي، ومن هذه الدراسات كتاب إعراب الحديث-لأبي البقاء العكبري.

كتاب شواهد التوضيح والتصحيح لحل مشكلات الجامع ا لصحيح-(**لابن مالك**).

أما في الجانب البلاغي فإننا لا نجد مؤلفاً اختص بمبحثٍ معينٍ من مباحث علوم البلاغة أو بفنٍ من فنونه سوى بعض المؤلفات التي تضمن إشاراتٍ معينة في مبحث خاص من مباحث البلاغة مثل:

كتاب المجتنى (**لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد: 321هـ**).

كتاب المجازات النبوية (**للشريف الرضي: 406هـ**) الذي جمع فيه ثلاثمائة وستين حديثاً نبوياً، وشرحها شرحاً وافياً مبنياً على استخراج مجازاتها واستعاراتها ومعانيها اللطيفة المحتملة، ولكنه لم يخرج هذه الأحاديث أو يسندها إلى رواتها.

كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز الذي وضعه صاحبه في بيان بعض الوجوه البلاغية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

كتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد (**للقاضي عياض :544هـ**) الذي تتبع فيه ألفاظ هذا الحديث الطويل ومعانيها.

كتاب اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (**لابن رجب الحنبلي: 795 هـ**)، وكتابه الآخر نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس.

أما عن الجهود المقامة حول لغة الحديث الشريف بلاغياً وأسلوبياً ونحوياً في عصرنا الحاضر أذكر منها:

البلاغة النبوية (**لمصطفى صادق الرافعي:1937م**).

الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية **لمحمد ضاري حمادي**.

بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف.

الحديث النبوي من الوجهة البلاغية **لعزالدين علي السيد**.

البيان المحمدي **لمصطفى الشكعة**.

البلاغة النبوية **لمحمد رجب البيومي**.

جوامع الكلم في البيان النبوي **لعبد الرحمن بودرع**.

الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف **لأحمد زكريا ياسوف**.

وللدكتور **صبري المتولي** عدة دراسات جاءت ملحقةً في دراسة له بعنوان علم الحديث النبوي محاضرات ودراسات، هذه الدراسات وردت في آخر الكتاب تحت عنوان: **[مفهوم السنة في القرآن والحديث دراسة معجمية دلالية]** ودراسة أخرى في الكتاب نفسه تحت عنوان: **[دور القرآن في نقد متون السنة]**.

هذه جملة من الدراسات المقامة حول الحديث النبوي الشريف لغوياً وأسلوبياً، ومنها ما يتصل بالجمع بين البلاغتين القرآنية والنبوية، وفي أغلبها ربط بينهما على نحو كبير؛ انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم:" بعثت بجوامع الكلم"، وكذلك على مبدأ تخصيص القرآن بالسنة، أو التقييد وغيرها.

والسؤال الآن: ما الذي ستقدمه هذه الدراسة – انتظام القرآن والحديث–من جديد في البحث اللغوي والأسلوبي؟

2–1 انتظام القرآن والحديث [بلاغة النورين] القيمة والمضمون:

نظراً لما تمثله خاصية جوامع الكلم من قيمة أسلوبية عالية للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أمْعَنْتُ النظر في معاني آيات من القرآن الكريم جاءت دلالاتها مُبَيَنَةً في السنة أو العكس، مما بدا لي أنه يمثل اتفاقاً في موضوع واحد بتعبيرين متقاربين إلا أن الفارق بينهما أن القرآن متعبد بتلاوته والحديث على خلاف ذلك، هذا الاتفاق في المعاني التفسيرية هو ما أبحث فيه وأمعن فيه النظر خاصةً أن جوامع الكلم تشتمل على عنصرين أساسيين من عناصر البلاغة والأسلوب هما: **[الجمع والاختصار]**"31.

وعلى نحو مقارن أي بين عنصري الجمع والاختصار ظهرت لدي قيم أسلوبية وجمالية تمثل جانباً أسلوبياً لم أجد أحداً تناوله بالبحث أو الدراسة.

شرعت في جمع نماذج متفقة من آي القرآن الكريم وعبارات الحديث الشريف من حيث المعنى مستعينا بمبدأ الجوامع باعتبارها سمة مشتركة بين القرآن والحديث، والانتظام واقعٌ فيهما الذي نادى به الإمام **(القرطبي)** رحمه الله في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، وقد أسنده رحمه الله إلى شيوخه رحمهم الله، وفي مقدمتهم **(أبوالعباس القرطبي)** صاحب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب الإمام مسلم.

يتحقق في آي القرآن الكريم ومعانيها التفسيرية الجامعة والمنتظمة مع عبارات الحديث الشريف انفتاح نصي كبير يختزل في مضامينه قيماً أسلوبيةً رفيعةً تتجسد فيها بلاغة النورين **[القرآن والحديث]** هذا الانفتاح النصي يضعنا أمام الآتي:

كلام الله المعجز **[القرآن]** وعبارات شريفة **[الحديث]**.

وحدة موضوعية بمعنى أن هناك فكرة واحدة وموضوعاً واحداً.

(31)– **الفائق في غريب الحديث**،12/1.

بنيتان نصيتان آية وحديث.

معانٍ وألفاظ تتفق في الغالب صرفياً ودلالياً.

إشارات وإحالات في سور القرآن الكريم، وأبواب وموضوعات الحديث الشريف، هذه الإشارات **[إما لموضع سابق من سور القرآن الكريم، أو باب تقدم أو سيأتي من أبواب الحديث في كتب الحديث]**؛ لأن الأحاديث مبينة لما في القرآن، مع مراعاة أن ترتيب سور القرآن الكريم توقيفي، وتبويب موضوعات الحديث توفيقي.

بناء على النقطة السابقة هناك تناسب في المعاني التفسيرية وعبارات الحديث أسلوباً وتركيباً.

هذه النقاط مجتمعة تحقق من خلالها مبدأ الانتظام الذي أشار إليه **(القرطبي)** رحمه الله.

أحاول عبر هذا الجمع بين الآية والحديث إثبات قيم أسلوبية لبلاغة النورين، أي اللغة العليا؛ علني أن أضيف شيئاً ولو قليلاً في الدراسات النصية لبلاغة القرآن والسنة النبوية، وبالله تعالى كمال العون والتوفيق.

بعد هذا العرض الموجز لقيمة كل من أسلوب الجوامع، وما نريد أن نقدمه للقارئ من قراءتنا لبلاغة النورين أضع بين يديك أيها القارئ مصطلحات هذه الدراسة ونماذجها المختارة.

–مصطلحات الدراسة، ونماذجها المختارة تعريفا وإجراءً:

قبل الدخول في مجال الدراسة أحاول توضيح مصطلحات الدراسة تعريفاً وإجراءً، مع بيان النماذج المختارة للبحث والدراسة موثقة ومسندة إلى مظانها، إليك أخي القارئ هذين الجانبين:

1-2 **مصطلحات الدراسة:**

- **الإحالة**: مصطلح متشعب من أهم مدلولاته أنه العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على الشيء الموجود في العالم، ويسميه القدماء **[الخارج]** وهناك قسمان للإحالة:
  - إحالة مقامية **[exphora]**
  - إحالة مقامية **[enphora]** [32]
- **الاختصار**: عادةً ما يذكر البلاغيون تعريف الاختصار في مقابل مصطلح آخر هو البسط الذي يعني الإطناب، وهو أي الإطناب أداء المقصود بأكثر مما يستحقه أصله لفائدة، وممن عرفوا الاختصار وفق هذا المبدأ (**صفي الدين الحلي:1349م**) رحمه الله في بديعيته الشهيرة، حيث استشهد له بقول النبي ﷺ" **إِنَّ الدِينَ النَصِيحَةَ، فَقِيلَ: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فقَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأَئِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ**" وفيه يقول شارح البديعية: حاصل هذا الكلام إذا ورد من طريق الاختصار أن يقول بعد ذكر الله تعالى وكتابه ونبيه والمسلمين فإنها لفظة جامعة للأئمة والعامة، وحسنة ما فيه التأكيد والتنصيص على العموم".

[32]– ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: سلب، 4/ 637.

2**الأسلوب**: تطلق كلمة أسلوب في لغة العرب على عدة معانٍ منها: الطريق بين الأشجار، والفن، والوجه، والمذهب، وعنق الأسد، والشموخ بالأنف، ويقال لطريقة المتكلم في كلامه، وأنسب هذ ه المعاني بالاصطلاح هو المعنى الأخير أو هو الفن أو المذهب[33].

وقد تواضع أهل الأدب وعلماء العربية على أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، وإطلاق هذا المصطلح على القرآن الكريم بمعنى" طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه

واختيار ألفاظه، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به فإن لكل كلامٍ إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به، وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم، بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها"[34].

والأسلوب في القرآن غير التركيب، وأنا أميل إلى الالتزام بتعريف العلامة (**الزرقاني:1710م**) للأسلوب والتركيب من بين أغلب التعريفات والتوضيحات عند غيره.

- **الإشارة**: أو إشارة النص وهي:" قصد الشرع للمعنى الذي ساق النص من أجله أصالةً أو تبعاً، وعدم قصده أصلاً، فالأول عبارة والثاني إشارة"[35].
- **البنية**: هي الإطار الذهني للكلمة المفردة، تشترك فيهما الدلالة الصرفية والنحوية، حسب سياقها الواردة فيه، ففي حالة الإفراد ينظر إليها من جهة علم الصرف، وفي إطار الجملة ينظر إليها من جهة علم النحو[36].
- **التركيب**: يقول العلامة (**الزرقاني**):" إن الأسلوب غير المفردات والتراكيب التي يتألف منها الكلام، وإنما هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه.... وهذا هو السر في أن القرآن الكريم لم يخرج عن معهود كلام العرب من حيث ذوات المفردات والجمل وقوانينها العامة، بل جاء كتاباً عربياً جارياً على مألوف العرب من هذه الناحية، فمن حروفهم تألفت كلماته، ومن كلماتهم تألفت تراكيبهم، وعلى قواعدهم العامة في تراكيبهم وعلى قواعدهم العامة في صياغة هذه المفردات وتكوين التراكيب جاء تأليفه"[37].

وبناء على هذا التحديد فإن التركيب هو مجموع الكلمات التي يتألف منها نظم الآية أو العبارة وفق المعهود في كلام العرب وطرائقهم.

- **التناسب**: هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر[38]، وتجدر الإشارة هنا إلى بيان قيمة هذا المصطلح خاصة في معاني القرآن والحديث؛ لأن تناسب معاني سور القرآن الكريم مع أبواب الحديث وموضوعاته داخلة في هذه الدراسة، وسيأتي بيان ذلك في الجانب الإجرائي.
- **الجمع**: أن تدخل شيئين فصاعداً في نوع واحد أي أن الجمع إدخال جزأين أو أكثر تحت كلي واحد، ويسمى ذلك الكلي الجامع نحو قول الشاعر:

إِنَ الشَبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَهْ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُ مَفْسَدَهْ

فالكلي هو المفسدة وجزئياتها هي: الشباب والفراغ والجدة"[6].

جوامع الكلم: صفة بلاغية تطلق على كتاب الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، أيد الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وهي نوعان:

جوامع قرآنية: نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (90النحل) قال (**الحسن:110هـ**): لم تترك هذه الآية خيراً إلا أمرت به ولا شراً إلا نهت عنه.

- **جوامع حديثية**: وهي كثيرة منتشرة في كتب الصحيح والسنن، وقد أكثر العلماء من التصنيف فيها مثل (**الحافظ أبي بكر السني:364هـ**) في كتابه الإيجاز وجوامع الكلم في السنن المأثورة، و(**شهاب الدين القضاعي:454هـ**) في كتابه الشهاب في المواعظ والآداب.[39]
- **الحديث**: هو كل ما أسند إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير بالسند المتصل [7]، و أقتصر في هذه الدراسة على القول فقط في حديثه صلى الله عليه وسلم دون الفعل أو التقرير.
- **الحديث القدسي**: يلقي رسول الله ﷺ مواعظ يحكيها عن ربه ﷻ ليست وحياً منزلاً فتسمى قرآناً، ولا قولاً صريحاً يسنده عليه الصلاة والسلام إلى نفسه إسنادا مباشراً فيسمى حديثاً، لكن النبي ﷺ يشير إلى أن عمله الأوحد فيه حكايته عن الله بأسلوب يختلف اختلافاً ظاهراً عن أسلوب القرآن، ولكن فيه مع ذلك نفحة من عالم القدس، ونورٌ من عالم الغيب، وهيبة من ذي الجلال والإكرام.

ويسند علماء الأمة الأحاديث القدسية بطريقتين:

- **الأولى**: " قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه"
- **الثانية**:" قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله ﷺ " والمؤدى واحد في كلا العبارتين، وحكاية النبي ﷺ عن ربه في هذا الضرب من الأحاديث القدسية اتخذت حجة للعلماء القائلين إن اللفظ في الحديث القدسي من الله ﷻ غير أن كثيراً من العلماء يرون أن الصياغة في القدسي للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن المعنى لله[8]؛ لذلك ذهب (**أبوالبقاء الكفوي1095هـ**) إلى أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحي جلي، وأما القدسي فهو ما كان لفظه من عند رسول الله ومعناه بالإلهام أو المنام"[40] .

- **القرآن**: كلام الله المنزل على رسوله ﷺ المتعبد بتلاوته، المبدوء بفاتحة الكتاب والمختوم بسورة الناس، وعدد سوره مائة وأربع عشرة سورة" وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن القرآن يتعذر

تعريفه وتحديده بالتعاريف المنطقية بحيث يكون تعريفه جامعاً مانعا؛ لأن التعريف الحقيقي له هو استحضاره معهوداً في الذهن أو مشاهداً بالحس كأن تشير إليه مكتوباً في المصحف، أو مقرؤاً باللسان فتقول هوما بين الدفتين، أو تقول هو: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **الفاتحة**، إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[41].

- **الانتظام**: مصطلح أطلقه (**القرطبي**) رحمه الله في تفسيره الجامع لأحكام القرآن باعتباره خلاصة لكلام سيق منه رحمه الله في حكم صلاة الليل وتخفيفها على رسول الله ﷺ، قال رحمه الله:" قال علماؤنا: وبهذا انتظم القرآن والحديث فهما يبصران من مشكاة من مشكاة واحدة"[42].

ومما يغلب على ظني أن من بين هؤلاء العلماء الذين أشار إليهم **الإمام** (**القرطبي**) بقوله **[علماؤنا]** العلامة **الفقيه** (**الشيخ أبو العباس القرطبي المتوفى سنة 656هـ**) صاحب كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم[43]، وغلبة الظن هذه مني؛ لأن (**أبا العباس القرطبي**) يكثر في كتابه المفهم من ربط الآيات القرآنية ومعانيها التفسيرية بما يوافق عبارات الحديث الشريف، وسيأتي في ثنايا البحث ما يبين ذلك.

2-2 النمـاذج المختـــــارة للدراسة:

اخترت لهذه الدراسة النماذج الآتية من الأحاديث النبوية الشريفة:

- **أربعة أحاديث من جوامع الكلم عليها مدار أمور الدين** هي:

[قوله ﷺ: " **إِنَمَا الْأَعْمَالُ بِالنِيَاتِ**" و" **الْحَلاَلُ بَيِنٌ وَالْحَرَامُ بَيِنٌ**"، وقوله ﷺ:" **إِنَ اللهَ طَيِبٌ لَا يَقْبَلُ إِلاَ طَيِباً وَإِنَ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ**"، و" **مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَالَا يَعْنِيهِ**"].

- **معنى الإحسان والرحمة:**

اخترت لهذين المعنيين ثلاثة أحاديث هي: **الأول**: حديث الإحسان المشهور بحديث جبريل عليه السلام، **الثاني**: قوله ﷺ:" **إن لله مئة رحمة أنزل منها رحمة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**"، **الثالث**: قوله ﷺ: " **إِنَ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِئَةَ رَحْمَةٍ كُلُ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَمَاءِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَحْمَةِ**".

- **معنى الاستقامة ودلالة لفظ الصراط:**

اختير لهذين المعنيين حديثان هما: عن (**سفيان بن عبد الله الثقفي:ط4**) قال : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ، وفي رواية غيرك، قالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ"، والثاني: قولُهُ صلى الله عليه وسلم: " **ضَرَبَ اللهُ مَثلاً صِرَاطاً مُسْتَقِيماً، وعَلَى جَنَبَتَيْ الصِرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌمُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَأَيُهَا النَاسُ ادْخُلُواْ الصِرَاطَ جَمِيعاً وَلَا تَعُوجُواْ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئاً مِنْ تِلكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلِجْهُ، وَالصِرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُورَانِ حُدُودُ اللهِ عَزَو جَل، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَحَةُ مَحَارِمُ اللهِ، وذَلِكَ الدَاعِي عَلَى رَأسِ الصِرَاطِ كِتَابُ اللهِ، وَالدَاعي مِنْ جَوْفِ الصِرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِ مُسْلِمٍ**" زاد الترمذي رحمه الله: ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ (يونس25).

- **في الحث على الجهاد:**

اخترت لهذا المعنى هذا الحديث قوله ﷺ:" **لَا تَتَمَنَوْا لِقَاءَ الْعَدُوِ وَاسْأَلُواْ اللهَ الْعَافِيَةَ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُواْ، وَاعْلَمُواْ أنَ الْجَنَةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُيُوفِ**".

هذه هي النماذج المختارة من الأحاديث المدروسة في هذا البحث ولكل حديث منها آيات تشرحه وتبينه، وهي كثيرة، وسيتم بحثها في مقابل دلالات الحديث لغة وأسلوبا في القسم الثاني المخصص للدراسة والبحث.

القسم الثاني

الدراسة الأسلوبية والتركيبية للنماذج المختارة

القيم اللغوية وانتظام المعاني بين القرآن والحديث

3-1 أربعة أحاديث من جوامع الكلم عليها مدار الدين:

قال ﷺ: " **إنما الأعمال بالنيات**"[44] وقوله عليه الصلاة والسلام:" **الْحَلاَلُ بَيِنٌ وَالْحَرَامُ بَيِنٌ**"[45] وقوله أيضاً: " **إِنَ اللهَ طَيِبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَا طَيِباً**"[46] وقوله أيضاً: " **مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**"[47].

سبقت الإشارة إلى أن هذه الأحاديث عليها مدار أصول الدين في مقدمة الدراسة، وقد حكي ذلك عن جماعة من أهل الحديث، وبالنظر إلى خاصية جوامع الكلم واختصاص هذه الأحاديث بعموم أمور الدين

وركائزه يقول الحافظ المحدث (**أبو داوود**) رحمه الله: "ونظرت في الحديث المسند فإذا هو أربعة آلاف حديثٍ ثم نظرت فإذا مدار أربعة آلاف حديث على أربعة أحاديث، **[السابقة أعلاه]** فكل حديث من هذه الأحاديث ربع العلم"[48]، وهنا تتحدد لدينا دلالة الجمع؛ إذ إن تعبيراً واحداً يعادل ألفاً، ويشتمل على ربع أمور الدين، وفيه بالمقابل دلالة الاختصار فكل ألف حديث تختصر في عبارة واحدة.

وفيما يلي بيان القيمة اللغوية والأسلوبية لهذه الأحاديث:

- **الحديث الأول**: قوله ﷺ:" **إِنَمَا الْأَعْمَالُ بِالنِيَاتِ**".

أولاً: الأسلوب والتأليف: هذا الحديث استهل به الإمام (**البخاري**) جامعه الصحيح، في كتاب بدء الوحي، مترجماً هذا الباب بقوله تعالى: ﴿ **إِنَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ** ﴾ (**النساء 163**)[49].

القيمة الأسلوبية لهذا الحديث الشريف تتجلى واضحة بالنظر إلى شروح الصحيح لنا عند شراح الصحيح، حيث تتبع شراح (**صحيح الإمام البخاري**) منهجية الإمام (**البخاري**) في التراجم والأبواب، وخاصة المصدرة منها بآية وحديث معاً أو بحديث ومعه آية، فيتحدثون عن دلالات الجمع بين الآيات والأحاديث معنى وتوافقاً وهذا ما أحاول تلمسه في هذه الدراسة، يقول الإمام (**بدرالدين العيني**:**859هـ**) رحمه الله:" قد اعترض على المصنف في إدخاله حديث الأعمال هذا في ترجمة بدء الوحي، وأنه لا تعلق له به أصلاً بحيث إن الخطابي في شرحه والإسماعيلي في مستخرجه أخرجاه قبل الترجمة؛ لاعتقادهما أنه إنما أورده للتبرك به فقط، واستصوب **أبوالقاسم بن منده صنيع الإسماعيلي** في ذلك، وقال **ابن رُشَيْد**: لم يقصد **البخاري** بإيراده سوى بيان حسن نيته في هذا التأليف، وقد تكلفت مناسبته للترجمة فقال كلٌ بحسب ما ظهر له، وقد قيل: إنه أراد أن يقيمه مقام الخطبة للكتاب؛ لأن في سياقه أن عمر قاله على المنبر بمحضر الصحابة، فإذا صَلُحَ أن يكون في خطبة المنبر صَلُحَ أن يكون في خطبة الكتاب، وحكى المهلب أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب به حين قدم من المدينة مهاجراً فناسب إيراده في بدء الوحي؛ لأن الأحوال التي كانت قبل الهجرة كانت كالمقدمة لها، ولأنه بالهجرة افتتح الإذن في قتال المشركين، ويعقبه النصر والظفر والفتح انتهى وهذا وجهٌ حسنٌ ....ونقل (**ابن بطَّال**:**384هـ**) عن (**أبي عبد الله البخاري**:**256هـ**) قال: التبويب يتعلق بالآية والحديث معاً؛ لأن الله أوحى إلى الأنبياء ثم إلى محمد ﷺ أن الأعمال بالنيات لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِينَ** ﴾ (**البينة5**)[50].

إذن وجه المناسبة في ابتداء الجامع الصحيح بحديث الأعمال يجمع الآتي:

- التبرك به.

- إظهار حسن نية المصنف رحمه الله وإخلاصه فيه.
- أنه كالخطبة للكتاب فصلح الابتداء به.
- هناك تطابق في معنى الحديث ومناسبة الهجرة زماناً ومكاناً.

ومن حيث الأسلوب والاتفاق في المعنى فإن هناك اتفاقاً في المعنى بين الآيتين

– آية التبويب والآية الشارحة–وقد عرف هذا الاتفاق عن طريق الإحالة أو الإشارة.

يجتمع في هذه النقاط الخمس مبدآن عظيمان من مبادئ الدرس البلاغي هما: براعة الاستهلال وهي قيمة خاصة بالجامع الصحيح للإمام البخاري، ومبدأ عام خاص بدلالة الحديث الشريف لغة ومعنى ألا وهو مطابقة المقام مقتضى الحال، فالمقام مقام الهجرة والحال عزيمة من هاجر ونيته، ومن هنا تتفق دلالتا الحديث الشريف ومعنى الآيتين الكريمتين.

ثانياً: البنية والتركيب: بنية هذا الحديث عبارة عن مفردتين سبقتا بأداة نصب، وحَرْفٍ كَفَّ أداة النصب عن العمل فيما بعدها.

تم عن طريق هذه البنية حَصْرٌ وإسنادٌ، الحصر بأداة الحصر إنما والإسناد تم عن طريق تقييد كل عملٍ بنية صاحبه، يفهم من هذا التركيب أن كل عمل لابد فيه من نيةٍ، والفائدة من هذا التركيب ما يتسع فيه المعنى عرضاً وبياناً، وذلك كله تبعاً لمقصد الشارع، يقول **(ابن رجب)** رحمه الله:" النية بمعنى تمييز المقصود بالعمل هل هو لله وحده لا شريك له أم لله وغيره.... وهي النية التي يتكرر ذكرها في كلام النبي صلى الله عليه وسلم تارة بلفظ النية، وتارة بلفظ الإرادة، وتارة بلفظٍ مقاربٍ لذلك، وقد جاء ذكرها كثيراً في كتاب الله عز وجل بغير لفظ النية أيضاً من الألفاظ المقاربة لها، وإنما فرق من فرق بين النية والإرادة والقصد ونحوهما؛ لظنهم اختصاص النية بالمعنى الأول الذي يذكره الفقهاء، وقد ذكرنا أن النية في كلام النبي ﷺ وسلف الأمة إنما يراد بها هذا المعنى الثاني غالباً فهي حينئذ بمعنى الإرادة، ولذلك يعبر بلفظ الإرادة في القرآن كثيراً قال تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ ....وقد يعبر عنها بلفظ الابتغاء كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾[51]

إذن معنى النية في الحديث الشريف والآيتين الكريمتين تنحصر دلالته في الآتي:

- القصد والإرادة
- تمييز العبادات بعضها عن بعض كالطهارة والصلاة [عند الفقهاء].
- قصد العمل ونية صاحبه [عند الفقهاء وفي كلام العارفين]9.

وأصلها اللغوي: الوجه أو القصد، والنية والنوى: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد10.

إذن دلالة لفظ النية انحصرت في قصرها على العبادات أو ما في حكمها، أو على قصد العمل عند كل من الفقهاء والعارفين، وهوما بينه مفهوم الإحالة.

- الحديث الثاني: قوله ﷺ: " **الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ**".

أولا: الأسلوب والتأليف:

عبارةٌ موجزةٌ تحمل معانٍ كثيرةً، مبينة لما أحله الله وما حرمه، أحكام الحلال والحرام مبينة في كتاب الله العزيز قال تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾[52].

الاتفاق هنا بين معنى الآية والحديث الشريف في كلمة **[البيان]** وتصريفاتها، قال تعالى:

﴿ **يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا** ﴾[53].

﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾[54].

﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ** ﴾[55].

معنى البيان وتصريفاته في القرآن الكريم ورد كثيراً في سور كثيرة، اخترت منها ثلاث سور هي: النساء، والتوبة، والنحل، أما سورة النساء والتوبة فمدنيتان، وأما سورة النحل فمكية، السؤال الآن: ما الذي ميز سورة النحل وهي سورة مكية بأن ورد فيها معنى البيان مرتين علما بأن ما يتعلق بالأحكام الشرعية محصور غالباً في السور المدنية دون المكية؟

إذا نظرنا إلى سورة النحل وخاصة عند الآية رقم [44] سنجد أنها قد وقعت ضمن سياق خاص يتبين من خلاله عظمة القرآن والسنة وإليك بيان ذلك قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[56].

أقول تميز موضع **[البيان وتصريفاته]** في سورة النحل بذكر معنى البيان مرة بصيغة الجمع – البينات– وتارة بصيغة الفعل– لتبين– وفي هذا إثبات لصدق النبي صلى الله عليه وسلم بِعْثَةً ووحياً، حيث اشتملت الآية على بيان الحديث عن أنبياء الله قبل النبي صلى الله عليه وسلم ناهيك عن معجزته التي خصه الله بها **[القرآن]** المعبر عنه في هذا الموضع بالذكر، وبما أن الموضوع في الآية عن بيان الأحكام فقد أشارت الآية إلى العلماء أيضاً ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾(**الأنبياء7**) وفيه الإشارة

إلى العلماء الذين يوجهون الناس ويعرفونهم أمور دينهم وخاصة في المتشابه من الأمور وهوما جاء في بقية الحديث الشريف نفسه في قوله ﷺ:" **وَبَيْنَهُمَا مُتَشَابِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَاسِ" ولا يعرف المتشابه إلا أهل الذكر**[57].

وقد قاد إلى هذا الجمال الأسلوبي بين الآية والحديث موضع البيان في سورة النحل باعتبارها سورة مكية، ونظائر لفظ البيان غالباً ما تكون في القرآن المدني، كما أن دلالة حديث الأعمال تتفق سياقياً وأسلوبياً مع مضمون معنى الآية بكاملها؛ ليتحقق عند ذلك مبدأ جوامع الكلم.

ثانيا: البينية والتركيب: بنية هذا الحديث الشريف عبارة عن أربع مفردات، كلها أسماء انحصرت في جملتين اسميتين تحقق فيهما معنى الجمع والاختصار، وبيان هذا الجمع والاختصار إما في القرآن الكريم نفسه أوفي السنة المشرفة.

أما من حيث التركيب فهو تركيب عربي بلغة سهلة خالية من التعقيد أو الإطالة أو عدم الفائدة.

قورن هذا التركيب مشروحاً بما يفسره من آيات الذكر الحكيم فتحقق لدينا جانب دلالي ولغوي جديد هو ما نحاول الوقوف عليه وإثباته.

- الحديث الثالث: قوله ﷺ:" **إِنَ اللهَ طَيِبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَا طَيِباً**"

أولاً: الأسلوب والتأليف:

أسلوب هذا الحديث الشريف أسلوب خبري مؤكدٌ بأداة توكيد، وجملة الخبر جملة فعليةٌ منفيةٌ بأداة نفي، وفي الوقت نفسه تثبت أن الله لا يقبل إلا الطيب.

اعتماد هذه الجملة على الخبر [طيب] وهو صفة مشبهة موضوعة لقصد المبالغة باعتبارها صفة لله، والصفة المقصورة على الموصوف المقدر إما أن يكون: [الكسب-أو الرزق-أو العمل] وسيأتي بيان قيمته في البنية والتركيب.

انتظم معنى هذا الحديث مع قول الله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الرُسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَيِبَاتِ وَاعْمَلُواْ صَالِحاً**﴾[58]، وكذلك مع قوله تعالى: ﴿**أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا كُلُواْ مِنْ طَيِبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَاهُ تَعْبُدُونَ**﴾.[59]

والقاسم المشترك بين الآيتين والحديث هو المعنى الواحد، وكلمة **[الطيبات]**.

وقد ذكر القرطبي رحمه الله أن هذه الآية" خوطب بها النبي ﷺ وأنه أقامه مقام الرسل كما قال تعالى: ﴿ **الَذِينَ قَالَ لَهُمُ النَاسُ** ﴾ يعني **نعيم بن مسعود**، وقال الزجاج : هذه مخاطبة للنبي ﷺ، ودل الجمع على أن الرسل كلهم كذلك أُمِرُواْ أي كلوا من الحلال، وقال الطبري: إن الخطاب لعيسى عليه السلام روي أنه كان يأكل من غزل أمه، وقيل: إن هذه المقالة خوطب بها كل نبي؛ لأن هذه طريقتهم التي

ينبغي لهم الكون عليها فيكون المعنى: وقلنا يأيها الرسل كلوا من طيبات ما رزقناكم كما تقول لتاجر: يا تجار ينبغي أن تجتنبوا الربا فأنت تخاطب بالمعنى، وقد اقترن بذلك أن هذه المقالة تصلح لجميع صنفه، فلم يخاطبوا قط مجتمعين صلوات الله عليهم أجمعين، وإنما خوطب كل واحد في عصره، **قال (الفراء:207 هـ)** هو كما تقول للرجل الواحد: كفوا عنا أذاكم" [60].

إذن كلمة الرسل قصد بها النبي ﷺ لوجوه دلالية منها:

- اعتبار ما كان
- أو باعتبار إطلاق الجمع وقصد المفرد"[61]، والخطاب فيها مبني على العموم والخصوص؛ لتشمل المرسلين جميعاً وأنت يا محمد ﷺ من بينهم، وما يوافقه في الحديث قوله ﷺ" **إِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ**".

ثانياً: البنية والتركيب: بنية هذا الحديث الشريف عبارة عن اسمين في قالب الجملة الخبرية المؤكدة، وجملة حصر فيها اسم يعتمد عليه المعنى في الجملتين الاسمية والفعلية، وهما: **[طيب وطيبا]** لأن الله طيب فهو لا يقبل إلا طيباً، ولهذا التركيب نظائر أخرى في الحديث الشريف منها:

- قوله ﷺ:" **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ** "[62].
- وقوله عليه الصلاة والسلام:" **إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِهِ**"[63].
- أما من جهة المعنى فكلمة الطيبات في الآية الكريمة تقع على عدة معانٍ منها:

[الكسب–ما أحله الله تعالى–الأعمال].

أما عن دلالتها في الحديث الشريف فتقابل **[طيبا]** الطيبات في الآية الكريمة، وهي تدل على الآتي: **[الصدقة–الأعمال عامة شريطة خلوها من الربا والعجب وأن تكون من مال حلال–والكلمة الحسنة]** [64].

الحديث الرابع: قوله ﷺ:" **مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**".

هذا الحديث كما يقول **(ابن الصلاح:643هـ)** رحمه الله أصلٌ عظيمٌ من أصول الأدب، وقد ذكر **(أبو محمد بن أبي زيد:386هـ)** إمام المالكية في زمانه أنه قال: جماع أبواب الخير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث: قول النبي ﷺ:" **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**"، **وقوله**

صلى الله عليه وسلم:" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"، وقوله ﷺ للذي اختصر له الوصية:" **لا تغضب"**، **وقوله صلى الله عليه وسلم:" المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه"**[65].

إذن هذا الحديث يدخل ضمن أسلوب الجوامع مع الثلاثة الأخرى ضمن دائرة الأدب والخيرية في التعامل بالحسنى قولاً وفعلاً.

وفيما يأتي بيانٌ لقيمة هذا الحديث أسلوبياً وتركيبياً:

أولا: الأسلوب والتأليف: أجمل في هذا الحديث الشريف معقد الحسن في إسلام المرء ألا وهو: [تركه ما لا يعنيه] ومعتمد هذا الحديث من حيث الأسلوب على كلمتي: [الحسن، ويعنيه]، وإليك الآن دلالتهما لغة ومعنى:

الْحُسْنُ: أو الإحسان والمقصود به ما ورد في حديث جبريل، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً، وهذا اللفظ أي –الحسن – هو الملمح الإشاري لحديث الإحسان المشار إليه عند كل شراح الحديث؛ لأن حديث الإحسان هو حديث الباب في معاني الخير وجماع معانيه.

يعنيه: لفظٌ شاملٌ للأقوال والأفعال، وهي المعاني المجملة من حديث الإحسان الذي سيأتي بيانه.

هذا الحديث على قلة كلماته وقصر عبارته تشير مقاصده ضمنياً إلى حديث الإحسان الطويل المعروف.

ثانيا: البنية والتركيب: بنية هذا الحديث هي عبارة عن جملة اسمية صدرت بالجار والمجرور، والعامل فيهما المصدر المضاف **[حسن إسلام المرء]** ومفاعل هذين المصدرين هو: **[تركه]** وموقع الضمير في المصدر تركه هو الرابط بين طرفي الجملة خبرها المقدم ومبتدئها المؤخر.

وهو تركيبٌ عربيٌ فصيحٌ على لسان أشرف الخلق، كما أن فيه إشارة إلى حديث الإحسان؛ لأنك إذا أخذت القسم الأول منه باعتباره استفهاماً عن إحسان المسلم لوجدت الإشارة متحتمةً لا محالة، فلو قلت: ما هو الإحسان في إسلام المسلم؟ فسيقع مباشرة في الذهن حديث الإحسان

[حديث جبريل] ومعانيه الواردة فيه، فقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم ما أطيل ذكره وبُيِّنَ في حديث الإحسان هذا من حيث الجمع، أما من جهة الاختصار فقد اختصرت المعاني الواردة في حديث جبريل في قوله عليه الصلاة والسلام: **[من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه]**.

أما من حيث اتفاق عبارة الحديث مع معاني الآيات الكريمة فهذا واضح بين، يقول **ابن رجب** رحمه الله:" **أكثر ما يراد بترك ما لا يعني: حفظ اللسان من لغو الكلام**"[66] ، وفي القرآن الكريم نجد الترهيب والتحذير من القول السيء واللغو الذي لا طائل من ورائه، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ**

وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾"[67] .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُوا فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾"[68]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾"[69].

هذه الآيات الكريمة هي التي قوبلت معانيها وشرحت دلالة الحديث بها عند جل شراح الصحيح، وقد جاءت هذه الآية الكريمة متحدثة عما يترتب عن عدم ترك الإنسان ما لا يعنيه؛ وذلك لسببين:

- اعتبارهم حديث الإحسان حديث الباب الجامع لمعاني الإسلام.
- واعتبارهم هذا الحديث أصلاً من أصول أبواب الخير والآداب كما بين (**ابن أبي زيد**) رحمه الله، وبذلك يتحقق في هذا الحديث شمول أبواب الخير قولاً وفعلاً، وهو المحصور في كلمة **[يعنيه]**؛ لذلك جاء الترهيب في الآيات الكريمة مرة بالقول ، ومرة بالفعل والقول معاً.

3-2-الإحسان والرحمة في معاني القرآن والحديث:

مربنا في النموذج الأول أربعة أحاديث من كلام النبي ﷺ تجتمع عليها أمور الدين، وهي داخلة ضمن أسلوب الجوامع، كما تضمنت دلالتي الاختصار والجمع، والسؤال الآن:

هل يعد أسلوب الجمع وحده دلالةً كافيةً لمجمل معاني الشرع أم أنه اكتسب هذه الدلالة من خلال ترتيب علماء الحديث لكلام الله ﷻ وتوافق معانيه مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

مما لا شك فيه أن ترتيب سور القرآن الكريم ترتيب توفيقيٌ من عند الله، تحقق فيه جماع معاني الفصاحة والبلاغة وحسن الترتيب، فشكلت سوره وِحْدَةً موضوعيةً متوافقة، تضاف إلى إعجازه لفظاً ونظماً "[70].

أما عن ترتيب أبواب الحديث وموضوعاته فهو اجتهاد أئمة الحديث بين يدي الله وفي محراب الصلاة والدعاء كما عند البخاري رحمه الله، فجاءت أبواب الحديث في الصحيح وغيره متناسبةً بنيةً ومعنىً، واتفقت دلالاتها تصنيفاً وتوصيفاً، وانتظمت عباراته وتفريعاته لغةً وفقهاً وخلقاً وتربيةً، ولبيان هذا الجانب-حسن الترتيب والتناسب-اخترت حديثين مهمين عن الإحسان والرحمة، وإليك الكلام فيهما:

حديث الإحسان: عن (**عمر بن الخطاب:23هـ**) ﷺ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنا أحَدٌ حَتَى جَلَسَ إِلَى النَبِي صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ فَأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ: "الْإِسْلاَمُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ وَأنَ مُحَمَداً رَسُولُ اللهِ، وتُقِيمَ الصَلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً" فقال: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِقُهُ، قالَ: فَأخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ:" أنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِهِ" قالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قالَ:" أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأنكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَهُ يَرَاكَ" قالَ: صَدقْتَ، قالَ: أخْبِرْنِي عَنِ السَاعَةِ؟ قالَ:" مَا المسؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَائِلِ" قَالَ: فَأخْبِرْنِي عَن أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ:" أنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَتَهَا، وَأنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ" ثُمَ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِياً، ثُمَ قَالَ لِي:

" **يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينَكُمْ**"[71].

هذا الحديث استفتح به الإمام (**مسلم**) رحمه الله جامعه الصحيح، وبإمكانك أيها القارئ أن تتعرف على معنى حسن الابتداء والتبويب كما مرينا في حديث الأعمال حينما استهل به الإمام (**البخاري**) جامعه الصحيح أيضاً.

تضمن هذا الحديث الكلام عن قواعد الإسلام، والتعريف بالإيمان، والإحسان، وبيان أمارات الساعة.

كما أن شراح الحديث قد أدخلوا هذا الحديث في رأس أمور المسلم وشؤونه مع ربه، ألا وهي: الإسلام والإيمان والإحسان، كما يعتبر هذا الحديث فاتحة الأمر فيما يتعلق بالكلام حول الفرق الإسلامية، وما يتعلق بمعاني الإيمان والكفر، ومرتكب الكبيرة إلى غير ذلك، يقول ابن رجب رحمه الله:" انحصرت العلوم الشرعية التي يتكلم عليها فرق المسلمين في هذا الحديث رجعت كلها إليه ففيه وحده كفاية"[72].

وشواهده من القرآن الكريم كثيرةٌ، وجلها تُدْخِلُ الأعمال في مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان، ومنها أيضاً ما جاء فيه الإحسان مقروناً بالإيمان والإسلام، أو مقروناً بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾"[73]، وقال أيضاً: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾"[74]، وقال أيضاً: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾"[75]، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾"[76]، وقال أيضا: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾"[77].

هذا عن ما يوافق معنى الحديث وما يؤيده من القرآن الكريم، وفيما يأتي القراءة الأسلوبية والتركيبية لهذ الحديث.

أولا: الأسلوب والتأليف: اتسم أسلوب هذا الحديث الشريف بالحوار، حيث بين الاستفهام والجواب ذلك المبدأ؛ إذ إن السائل جبريل عليه السلام، والمجيب هو النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المبين لصحابته شخص هذا السائل، ولهذا الحديث خاصية لغوية تميز بها أسلوب الوحي المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، هذه الخاصية هي استحالة السائل معلماً، واستحالة الاستفهام بياناً وجواباً قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾"[78].

ثانياً: البنية والتركيب: انطلاقاً من السمة الحوارية لهذا الحديث جاءت بنيته اللغوية بصيغتي الخبر والإنشاء بين مَلَكٍ يسأل؛ ليتعلم الناس، ورسول يجيب؛ ليحفظ عنه بألفاظ عربية واضحة المباني والمعاني.

السؤال الآن: كيف لنا أن نتحقق من بلاغة هذا الحديث الشريف مجموعاً في بابه مختصراً في أبواب أخرى من أبواب الحديث؟

والسؤال الآخر: هل هناك جمع آخر لجماع أمور الإسلام ومعانيه المثبتة في حديث جبريل؟

نجد الإجابة عن هذين السؤالين في صحيح الإمام مسلم نفسه، حيث ذكر رحمه الله تحت باب الاستقامة في الإسلام وأي خصاله خير؟ عن **سفيان بن عبدالله الثقفي** قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قُل لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ، وفي رواية غَيْرَكَ، قَالَ:" **قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَ اسْتَقِمْ**"[79].

عن هذا الحديث – حديث الثقفي – يقول **أبو العباس القرطبي** رحمه الله:" هذا الجواب دليلٌ على أن النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم واختصر له القول اختصاراً، كما قال مخبراً عن نفسه فإنه عليه الصلاة والسلام جمع لهذا السائل في هاتين الكلمتين معاني الإسلام والإيمان كلها، فإنه أمره أن يجدد إيمانه متذكراً بقلبه ولسانه، ويقتضي هذا استحضار تفصيل معاني الإيمان الشرعي التي تقدم ذكرها في حديث جبريل، وأمره بالاستقامة على أعمال الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات إذ لا تأتي الاستقامة مع الاعوجاج فإنها ضده، وكأن هذا القول منتزع من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾"[80].

إذن جمع الله عز وجل لنبيه ﷺ معاني الدين الإسلامي كلها الواردة في حديث جبريل، واختصرها في عبارة جامعة مانعة ألا وهي: **[قلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَ اسْتَقِمْ]**، وهذا الجواب كما ذكر (**أبو العباس القرطبي**) رحمه الله بأنه كالمنتزع من القرآن الكريم، وآية الاستقامة التي انتزعت منها دلالة الحديث جواباً للثقفي وردت في سورتي فصلت والأحقاف، والسورتان كلتاهما مكيتان؛ فتحقق بذلك توافق دلالي ومقامي لمضمون المعنى المقصود بين الحديث والقرآن، إذ إن الحديث عن الإسلام والإيمان والإحسان والاستقامة والساعة وأشراطها من سمات القرآن المكي، وسيأتي الكلام عن معنى الاستقامة في جواب النبي ﷺ للثقفي في معرض التمثيل والتصوير في كلام النبي ﷺ في النموذج الثالث بمشيئة الله.

الرحمة: اختير للحديث عن مدلول الرحمة في القرآن والحديث، حديثان هما: عن النبي ﷺ قال: "**إِنَ لِلهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً بَيْنَ الْجِنِ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَرَ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"[81].

والحديث الآخر عن (**سلمان ﷺ:36هـ**) قال: قال رسول الله ﷺ:" **إِنَ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِئَةَ رَحْمَةٍ، كُلُ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَحْمَةِ**"[82] .

معناه العام واضحٌ، ينحصر في إظهار مدى رحمة الله تعالى بعباده في الدنيا ويوم القيامة.

أما عن معناه من حيث التفصيل يقول (**القرطبي**) رحمه الله:" هذا الحديث نصٌ في أن الرحمة يراد بها متعلق إرادة الحق سبحانه وتعالى لا نفس الإرادة، وأنها راجعة إلى المنافع والنعم، ومقتضى هذا الحديث أن الله تعالى علم أن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مئة نوعٍ، فأرسل فيهم في هذه الدار نوعاً واحداً فيه انتظمت مصالحهم وحصلت مرافقهم كما نبه في بقية الحديث فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقي في غلمه وهو التسعة والتسعون فكملت الرحمة كلها للمؤمنين، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ وهو الذي صرح به النبي ﷺ حيث قال لهم:" **إِنَ فِي الْجَنَةِ مَا لَاعَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ بَلْهَ مَا اطَلَعْتُمْ عَلَيْهِ**" وعند هذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** ﴾ فإن رحيماً من أبنية المبالغة التي لا شيء أبلغ منها، ويفهم من هذا أن الكافرين لا يبقى لهم في النار رحمة ولا تنالهم نعمة لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها إذ كمل كل ما علم الله من الرحمات"[83].

إذن لله رحمة واحدة في الدنيا [تشمل كل عطايا الله لمخلوقاته].

وله كذلك تسع وتسعون رحمة يوم القيامة [خاصة بالمؤمنين] من هذا المعنى الأخير نفهم مدلول المبالغة في الآية الكريمة ﴿ **بالمؤمنين رحيماً** ﴾ وهو المعنى المتناسب أو المتوافق بين الآية والحديث، والسؤال الآن: ما وجه الدلالة بين المعنيين الكريم في الآية والشريف في الحديث النبوي؟

أجاب عن هذا السؤال الإمام **القرطبي أبو العباس** رحمه الله إذ يقول:" إن ما قلناه في الحديث أولى من قول من قال: إن معنى قوله:" إن لله مئة رحمة" الإغياء والتكثير؛ لأنه لم تجر عادتهم بذلك في مئة، وإنما جرت بالسبعين ولو جرت بذلك لكان ذلك مجازاً، وما ذكرناه حقيقة فكان أولى"[84].

إذن في هذا السياق لدينا مبالغة في الآية الكريمة بصيغة فعيل وهي [رحيم]، ولدينا تكثير عددي [مئة] فبناء على مذهب العرب لا وجه للتكثير بالمئة، ولذلك فإن صيغة المبالغة هي الدالة على الأمرين معاً [المبالغة والتكثير]، وما ينتظم مع هاتين الدلالتين في الحديث الشريف هو قوله ﷺ:" **إِنَ فِي**

الْجَنَةِ مَا لَاعَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ"، ويوافق هذا الحديث من القرآن قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾.

وفي الحديث الثاني في المعنى نفسه –الرحمة –وردت دلالة الإغياء والتكثير وذلك في قوله ﷺ:" **كُلُ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَمَاءِ وَالْأَرْضِ**" وفيه من التوجيه اللغوي والأسلوبي مثل ما مضى في الحديث الأول، وما يجمع دلالة الرحمة في الحديثين هو قوله تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾[85].

وما يتميز به الحديث الثاني لغة وأسلوباً هو الدلالة اللغوية للفعل [خلق] في قوله ﷺ:" **إِنَ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلقَ السَمَواتِ وَالْأَرْضَ مِئَةَ رَحْمَةٍ**" حيث ذكر شراح الحديث أن معنى خلق هنا هو: قَدَرَ، وأصله كما في المعجم:" الخلق في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال لم يسبق إليه ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** ﴾ قال (**أبوبكر بن الأنباري:577هـ**): الخلق في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإنشاء على مثالٍ أبدعه، والآخر التقدير، وقال في قوله تعالى: ﴿ **فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ معناه: أحسن المقدرين"[86].

هذه من حيث الدلالة اللغوية، وفي توجيه هذا المعنى في الحديث يقول (**أبو العباس القرطبي**) رحمه الله:" خلق أي قدر، ويكون معناه: إن الله أظهر تقديره لتلك الرحمات أي علمه بها يوم أظهر تقديره لاختراع السماوات، ويصح أن يقال: إن معنى خلق اخترع وأوجد يوم خلق السماوات والأرض المئة رحمة فأرسل في هذا العالم نوعاً واحداً من تلك الأنواع وادخر في الجنة سائرها ليوم القيامة"[87].

إذن الفعل خلق هنا بمعنى:

قدر

اخترع ..... **وزمنها متناه في القدم أي يوم خلق**

أوجد **الله السموات والأرض.**

ليتأكد من خلال هذه الدلالة صدق الحديث عن الرحمة يوم القيامة، وتتوافق معانيها مع كلام النبي ﷺ.

الأسلوب والتأليف: أسلوب الحديثين الشريفين أسلوب خبري مؤكد بإن الناصبة التي جاء خبرها جملة فعلية، وقد حدد زمنها بالفعل الماضي؛ للدلالة على التحقق يقيناً، وهومن حيث الأسلوب والتأليف- مجيء الخبر جملة فعلية زمنها الماضي-متناسبٌ ومتوافق مع طبيعة الموضوع؛ لاشتماله على ما يكون من نعم الله في الدنيا واليوم الآخر.

أماعن **البنية والتركيب**: فإن بنية هذين الحديثين الشريفين أفادت جانبا كبيراً من القيم اللغوية كالمبالغة والتكثير بأكثر من صيغة أو تعبير.

وبهذا تحقق انتظام المعاني واتفاقها بين الحديث الشريف والآيات الكريمة.

3-3 الاستقامة والصراط في القرآن والحديث:

اختير للحديث عن هذين المدلولين الكبيرين حديثان، الأول مضى الحديث عنه في معرض الكلام عن دلالة الإحسان والرحمة في معاني القرآن والحديث، وهو سؤال الثقفي للنبي ﷺ" **قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك، وفي رواية غيرك، قال:" قل آمنت بالله ثم استقم**" [88].

أما عن معنى الصراط هنا فالمقصود به ما جاء في حديثه عليه الصلاة والسلام حين قال:" **ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً صِرَاطاً مُسْتَقِيماً، وَعَلَى جَنَبَتَي الصِرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِرَاطِ دَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلِجُهُ، وَالصِرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُورَانِ حُدُودُ اللهِ عَزَ وَجَلَ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَحَةُ مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَاعِي عَلَى رَأْسِ الصِرَاطِ كِتَابُ اللهِ، وَالدَاعِي مِنْ جَوْفِ الصِرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِ مُسْلِمٍ**، زاد الترمذي رحمه الله:

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [89].

مضى الحديث عن القيمة اللغوية والأسلوبية في الحديث الأول **[حديث الثقفي]** الذي أمره النبي ﷺ بالإيمان والاستقامة، حيث اشتمل هذا الحديث على ما تضمنه حديث جبريل الذي اخْتُصِرَتْ معانيه ومدلولاته في الإيمان بالله والاستقامة، وسمي ذلك جمعاً واختصاراً وانتزاعاً.

ومما يمكن أن يضاف إلى تلكم القيم اللغوية والأسلوبية السابقة قيمة أخرى هي رأس البلاغة العربية ألا وهي: **[مطابقة الكلام مقتضى الحال]** [90]حيث تضمن هذان الحديثان معنى **[رعاية المقام ومطابقته لمقتضى الحال]** كما مر في حديث جبريل، وجواب النبي صلى الله عليه وسلم للثقفي، ففي الأول

إسهاب وإطالة اقتضاها المقام؛ لوجود السائل والمجيب وتحاورهما استفهاماً وإجابة، يكتنف هذين الطرفين حضور جمع غفير من صحابة النبي ﷺ.

وفي جواب النبي ﷺ عن سؤال الثقفي رُوعِيَ مستوى السائل، واخْتُصِرَ له الجواب أيما اختصار، والسبب في ذلك الآتي:

أن المعاني الواردة في حديث الإحسان هي السمة العامة لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، كما تعد ملمحاً بارزاً في المجتمع المدني **[الأنصار]**.

أن تلكم المعاني ميدان تطبيقي وتنافسي بين صحابة النبي ﷺ.

أن النبي ﷺ يعلم من حال سائله ما لا يعلمه غيره فيعطيه من الجواب ما يسع فهمه وقدرته لأداء ما سمع أو علم.

إذن نحن الآن بين مقام الحديث والحوارية فيه كما بينت في حديث الإحسان، ومرد ذلك كله إلى التعليم والتعريف، تعليم كبار الصحابة وتعريف عامة الناس.

شُرِحَ معنى الاستقامة في حديث الثقفي بما ورد من بيان في حديث الإحسان، ومن المعاني التي شرحت بها دلالة الاستقامة هذا الحديث:" ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً.....إلخ" والسؤال الآن: عن أوجه التعريف والتعليم في البيان النبوي لمعني الإسلام، وكيف استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب التمثيل في مجلس عامر بالصحابة تحضره الملائكة المقربون؟

هذان السؤالان يدوران في فلك **[مطابقة الكلام مقتضى الحال أو ما يعرف برعاية المقام]** وأهمية هذا الجانب تتحدد في الآتي:

1- تذكر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهيأة جبريل عليه السلام، وهو ما يمكن أن أعتبره **[إحالة مقامية]**.

2- حفظ الصحابة رضوان الله عنهم حديث جبريل واسترجاعهم إياه؛ باعتباره شاملاً لمهمات الإسلام، وهوما يمكن أن أعتبره **[إحالة مقالية]**.

3- الاختصار والتقريب عند إجابة الناس عن أمور دينهم ومعاشهم.

وإليك ما تضمنه هذا المثل النبوي من قيم لغوية وأسلوبية:

أولاً: معنى الصراط: الصراط في اللغة الطريق"[91]، يقول (**ابن جرير:310هـ**) رحمه الله:"

أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو

كذلك في جميع لغة العرب، قال: ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعملٍ وصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه"[92].

وقال (**مجاهد:103هـ**): **[الصراط المستقيم]** هو الحق، وروى (**ابن أبي حاتم:327هـ**) و ابن جرير عن (**أبي العالية:93هـ**): المراد بالصراط المستقيم هو النبي ﷺ وصاحباه من بعده، وقد روى (**الطبراني:360 هـ**) عن (**عبد الله بن مسعود32هـ**) قال: الصراط المستقيم: الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ [93]، وقد جمع أغلب هذه الدلالة اللغوية والتفسيرية الإمام ابن القيم رحمه الله حيث يقول:" لا تكون الطريق صراطاً حتى تتضمن خمسة أمور هي: الاستقامة، والإيصال إلى المقصود، والقرب، وسعته للمارين، وتعيينه طريقاً للمقصود، ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة"[94].

إذن معاني الصراط هي:

- الطريق [معنى معجمي]
- الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه [بإجماع أهل التاويل]
- الحق [عند مجاهد]
- النبي صلى الله عليه وسلم [عند أبي العالية]
- ما تركنا عليه رسول الله ﷺ [ابن مسعود]

ثانياً: معنى الأبواب: جمع باب وهو معروف، والفعل منه التبويب والجمع أبواب وبيبان وهي مداخل الحجر أو البيوت [95].

ثالثاً: معنى السورين: يقول ابن منظور رحمه الله: " السور عند العرب حائط المدينة والجمع أسوار وسيران"[96].

رابعاً: معنى الداعي: اسم فاعل من الفعل دعا، ومعناه: المنادي لأمرك مأدبة وغيرها، ومنه قول الله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُواْ دَاعِيَ اللّهِ﴾[97].

هذا عن النصف الأول من المثل النبوي، والمتلقي الآن منشغل الذهن متأمل في هذا الخبر الذي لم تترجم معانيه بعد.

استحالت دلالات هذه الألفاظ **[الصراط–والأبواب–والسورين–والداعي]** على لسان النبي ﷺ إلى:

الصراط.....الإسلام.

الأبواب.....محارم الله.

الداعي.....[كتاب الله . وواعظ الله في قلب كل مسلم].

المثل كما هو معلوم وضع للتوضيح والتقريب، وجَعْلِ الأمر المراد تمثيله أكثر قرباً ووضوحاً.

ولهذا الحديث ألفاظ أخرى ومناسبات ذكر فيها هذ المثل ولكن في سياقه حضور الملائكة وتحاورهم إلى جانب رسول الله ﷺ عن (**سعيد بن المسيب:94هـ**) أنه سمع (**جابر بن عبد الله:78هـ**) يقول: جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَبِي ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلاً فَاضْرِبُواْ لَهُ مَثَلاً، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانٌ، فَقَالُواْ:" مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، وَبَعَثَ دَاعِياً، فَمَنْ أَجَابَ الدَاعِيَ دَخَلَ الدَارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُواْ: أَوِلُوهَا لَهُ يَفْقَهُهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانٌ ، فَقَالُواْ: الدَارُ الْجَنَةُ، وَالدَاعِي مُحَمَدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَداً أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَداً فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمُحَمَدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَاسِ"[98].

لدينا في هذا الحديث معانٍ مفسرةٌ على لسان الملائكة عليهم السلام، وتلتقي جميعها في المعنى نفسه، وإليك دلالة ألفاظ هذا الحديث، وما يولفقها من الآيات القرآنية:

- الدار.....الجنة قال تعالى ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾"[99].
- الداعي.....محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَبِيُّ إِنَا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِرًا وَنَذِيرًا﴾"[100].

يقول (**ابن حجر:852هـ**) رحمه الله: " في قولهم: إنه نائم وإن القلب يقظان قال (**الرامهرمزي:**971م): هذا تمثيل يراد به حياة القلب وصحوة خواطره، يقال رجلٌ يقظٌ إذا كان ذكي القلب.....، أما قولهم: الدار الجنة، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، ومحمد ﷺ الداعي، يقول الكرماني: ليس المقصود من هذا التمثيل تشبيه المفرد بالمفرد، بل تشبيه المركب بالمركب مع قطع النظر عن مطابقة المفردات بين الطرفين"[101].

إن كلام الكرماني رحمه الله عن التشبيه في هذا المثل بأنه مركب هو في حد ذاته دلالة لغوية جديدة وقيمة أسلوبية أخرى تضاف إلى جماليات لغة الوحي، بمعنى أن ما يفيده التركيب في طرفي التشبيه فيه جمعٌ واختصارٌ للدعوة الإسلامية ومنهج الداعي لها وغايته.

يساند هذا القول أيضاً أنه صادرٌ عن الملائكة الذين كلفوا بضرب المثل للنبي صلى الله عليه وسلم، كما لا ننسى حضور جبريل عليه السلام محاوراً أساسياً في حديث الإحسان، وشهود الصحابة ذلك المجلس، وهنا ملكان يتحاوران معاً، وإليك الآن تفصيل هيأة التركيب في هذا التشبيه:

- **رجل بنى دارا.....المشبه ملك بنى داراً، والدار الجنة.**
- **جعل فيها مأدبة.....الإسلام.**
- **بعث داعياً.....محمد صلى الله عليه وسلم.**

الأمور الثلاثة المتوازية: [الجنة-الإسلام-محمد ﷺ] تتناسب تمام التناسب مع دلالة الصراط، وتحقق معنى الاستقامة في الآيتين السابقتين – موضع فصلت والأحقاف- وحديث الثقفي، وبذلك ترجع دلالتها اللغوية والأسلوبية جمعاً واختصاراً إلى حديث جبريل [حديث الإحسان] لتتحقق في هذا المثل الملائكي القيم اللغوية الآتية:

1- الإشارة للمثل المضروب سابقاً من الله ﷻ.

2- الإحالة إلى ما جاء في حديث الإحسان موسعاً، وحديث الثقفي موجزاً.

3- تقريب المعنى وإيصاله للسامع وتأنيسه بما جاء فيه.

4- تنوع دلالي يقود إلى معرفة أسباب الاستقامة قولاً وعملاً، والدليل على ذلك ما يأتي:

- سئل (**أبو بكر الصديق:13 هـ**) رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال:" أن لا تشرك بالله شيئاً" يريد الاستقامة على محض التوحيد.
- قال (**عمربن الخطاب ﷺ: 23هـ**):" الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب"
- قال **عثمان بن عفان:35هـ**: " استقاموا: أخلصوا العمل لله "
- قال (**علي بن أبي طالب:40 هـ**) و(**ابن عباس:67هـ**) رضي الله عنهم:" استقاموا أدوا الفرائض"
- قال **الحسن**:" استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله"102.

وهذه المعاني جميعها مقتبسة من حديثي الإحسان [حديث جبريل] وحديث الثقفي عن الاستقامة وقد تضمنتهما آيتا فصلت والأحقاف.

الحث على الجهاد:

اختير للحديث عن هذا المعنى قول النبي ﷺ:" **يَأَيُهَا النَاسُ لَا تَتَمَنَوْا لِقَاءَ الْعَدُوِ وَاسْأَلُواْ اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُواْ وَاعْلَمُواْ أَنَ الْجَنَةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُيُوفِ**"103.

في الحديث الشريف نهي عن تمني الموت، وقد فسر معنى الموت هنا تارة بتمني لقاء العدو، وتارة بالشهادة، إذ إن الموافق لمدلول هذا الحديث من القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** ﴾ 104.

وقد قيل في تفسير معنى الموت في الآية الكريمة" بأنها الشهادة، أي من قبل أن تلقوا أسباب الموت، وذلك أن كثيراً ممن لم يحضروا بدراً كانوا يتمنون يوماً يكون فيه قتال فلما كان يوم أحد انهزموا، وكان منهم من تجلد حتى قتل، ومنهم أنس بن النضر عم **أنس بن مالك**"105.

إذن الآية الكريمة والحديث الشريف متفقان معنى ومنا سبة، ولهذا النهي حكمته يقول **(ابن بطال:384هـ)** رحمه الله:" حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال الله العافية من الفتن، وقد قال الصديق: لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن أبتلى فأصبر" وقال غيره: إنما نهى عن تمني لقاء العدو؛ لما فيه من صورة الإعجاب والاتكال على النفوس والوثوق بالقوة وقلة الاهتمام بالعدو والأخذ بالحزم ...ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة"106.

هذا من حيث المعنى ودلالة الاتفاق بين الآية والحديث، وإليك الآن النظر في أسلوبه وبنيته:

أولاً: الأسلوب والتأليف: أسلوب هذا الحديث النبوي الشريف من الأساليب الشائعة والطرائق المألوفة في التعبير النبوي، إذ من الشائع استخدام الأمر متلواً بالأمر أو الطلب كما في هذا الحديث، وبناءً عليه فالأسلوب إنشائي طلبي ابتديء بالنداء، متبوعاً بأربعة أوامر هي:

- لا تتمنوا لقاء العدو.....نهي عن تمني لقاء العدو
- سلوا الله العافية.....سؤال الله العافية
- فاصبروا.....أمر بالصبر عند ملاقاة العدو
- اعلموا.....أن الشهادة لا تكون إلا في سبيل الله

هذا الترتيب من النبي ﷺ لهذه الأوامر يجمع ما بين الانقياد النفسي والانقياد الجسدي معاً، كما أن فيه طاعتين كبرى وصغرى طاعة الله أولاً واستحضارها بالدعاء مرتين **[عدم تمني اللقاء وسؤال الله العافية]** وطاعة ولاة الأمر أو القادة في المعركة **[صبراً واحتساباً]** وفي هذا الجمع لهذه الأوامر نرى براعة الترتيب، وحسن التخلص، وكذلك التناسب اللفظي والمعنوي بين المعطوفات107.

ثانياً: البنية والتركيب: بنية هذا الحديث الشريف مؤسسة على الجملة الفعلية الطلبية، تخللتها جملتان جملة شرطية، وأخرى اسمية، الشرطية هي: **[إذا استنفرتم فانفروا]** والأسمية: **[أن الجنة تحت ظلال السيوف]**.

مربنا أن في هذا الحديث براعة ترتيب وحسن تخلص وتناسب، فماذا عن خاتمته وهي قول النبي ﷺ **" اعْلَمُواْ أَنَ الْجَنَةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُيُوفِ"؟**

عن هذه الخاتمة وقيمتها التعبيرية يقول **أبو العباس القرطبي** رحمه الله:" هذا من الكلام النفيس البديع الذي جمع ضروب البلاغة من جزالة اللفظ وعذوبته وحسن استعارته، وشمول المعاني الكثيرة مع الألفاظ المعسولة الوجيزة بحيث تعجز الفصحاء اللُسْنُ البلغاء عن إيراد مثله، أو أن يأتوا بنظيره وشكله، فإنه

استفيد منه مع وجازته الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه، والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف واجتماع المقاتلين حين الزحف لبعضهم حتى تكون سيوفهم بعضها يقع على العدو، وبعضها يرتفع عنهم، حتى كأن السيوف أظلت الضاربين بها، ويعني أن الضارب بالسيف في سبيل الله يدخله الله الجنة بذلك، وهذا كما قال في الحديث الآخر:" **الجنة تحت أقدام الأمهات**" أي من برأمه وقام بحقها دخل الجنة"108.

وإليك الآن تحديد القيمة البلاغية لهذا التعبير الشريف:

[الْجَنَةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُيُوفِ] فيه :

استعارة تصريحية، واستعارة تبعية، وكناية.

الاستعارة التصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، أي إن كانت مذكورة في الكلام لفظاً أو تقديراً سميت مصرحة، مثل: أسدٌ في قولك: عندي أسدٌ يرمي، أو المدلول عليه بنعم في قولك: أعندك أسدٌ يرمي؟109.

وإجراؤها في هذا الحديث على أن النبي ﷺ استعار لكثرة السيوف وتضاربها وإصابة العدو بها ظلالاً، ومن تحت الظلال المتحاربون المتضاربون بها حيث شبه فيها تعانق السيوف بتعانق الأشجار ذوات الظلال الوارفة، وذكر المستعار وهو الظلال، وحذف المستعار منه وهو سبب الظلال، إلى جانب اتخاذ الظلال للسيوف صورة أخرى وهي وجود الجنة تحت الظلال وكأنها لا تُرَى ولا توجد إلا عند احتدام المعارك وتشابك السيوف وانتشار الظل تحتها.

الاستعارة تبعية: وهي ما لم يكن المستعار فيها اسم جنس غير مشتق، ويدخل في هذا الاسم والفعل، وسميت تبعية؛ لأنها تابعة لاستعارة أخرى في المصدر **[الاسم والفعل]** وفي الحروف متعلقات معانيها"110.

وتبعيتها في معنى الحديث هنا من حيث تعلق المعنى في الظرف **[تحت]** المفيدة للمكان، والمكان هنا يقصد به السيوف وظلالها المفضية إلى الجنة.

كناية: الكناية مصدر كنى يكني، إذا تكلم بشيء يستدل به على غيره أو يراد به غيره، واصطلاحاً هي أن يعبر عن شيءٍ بلفظٍ غير صريح في الدلالة عليه" 111.

وعند (**الجرجاني:471هـ**): " المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنىً هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعل دليلاً عليه مثل قولهم: طويل النجاد يريدون طويل القامة، وكثير رماد القدر يعنون كثير القرى"112.

وإجراء الكناية في قوله عليه الصلاة والسلام:" الجنة تحت ظلال السيوف" إشارة إلى الشهادة أو نيلها، كما في بيت زياد الأعجم إذ يقول:

إِنَ السَمَاحَة وَالْمُرُؤَةَ وَالنَدَى فِي قُبَةً ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ"113.

فإنه أراد أن يثبت اختصاص (**ابن الحشرج**) بهذه الصفات، فترك التصريح بأن يقول إنه مختص بها أو نحوه إلى الكناية بأن جعلها في قبة مضروبة عليه، كذلك الأمر في قصر الشهادة ونيل الجنة بالقتال أو المضاربة بجمل السيف.

هذا عن قيمة المعنى وجماله اللغوي والأسلوبي تعبيراً ودلالةً، فماذا عن المعنى وقيمته التعبيرية والجمالية في الآية الكريمة المنتظمة مع عبارة الحديث؟

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ يقول الشيخ العلامة (**أحمد شاكر**) حول قوله تعالى: "﴿ **فقد رأيتموه** ﴾ يعني الموت شاهدتموه في لمعان السيوف وحد الأسنة، واشتباك الرماح، وصفوف الرجال للقتال، والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتخييل، وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس كالمحسوس، كما تتخيل الشاة صداقة الكبش وعداوة الذئب"114.

إضافة التخييل في المعنى المفهوم من دلالة الآية وجعل الموت أمراً محسوساً هو ماحل بالصحابة رضوان الله عنهم الذين صاروا شهداء عند ربهم سواءً في أحد وغيرها، وفيه أيضاً جعل الأمر المتخيل متحققاً، يُسَارُ إليه ويُطْلب؛ مرضاة لله وطمعاً في الجنة.

لقد تحقق في هذا الحديث النبوي الشريف ملمح بلاغي آخر هو براعة الختم"115 حيث أثبت المحدثون أن هذا الحديث خطبة خطبها رسول الله ﷺ، وفيه تأكيد على أن عناصر الكلام في الخطبة هي:

1- المقدمة.

2- الموضوع.

3- الخاتمة.

وهو ما حدث بالفعل في هذا الحديث فهو على قصر عبارته ووجازة ألفاظه قد قام مقام الخطبة أو النص المكتمل ابتداء وانتقالاً وخاتمة.

ومثل هذا النمط من النصوص النبوية كثير في القرآن الكريم، إذ من الشائع الغالب الافتتاح بأسلوب النداء والإتيان بالأمر بعده مباشرة، ليتخلل هذا التعاقب العطف بحروف العطف، وهو ما يسمى بحسن التخلص؛ ليختتم النص بخاتمة تشد السامع وتحرز انتباهه.

الخاتمة

بعد عرض مادة هذا البحث حول جوامع الكلم النبوي المنتظمة مع المعاني التفسيرية لآي الذكر الحكيم خَلُصَ الباحث إلى النتائج الآتية:

1. أن الحديث الشريف منه ما هو متمم لمعاني القرآن شرحاً أو بياناً أو تخصيصاً أو توضيحاً، وقد تم هذا البيان والشرح دون إخلال بالبنية النصية للآية الكريمة أو الحديث الشريف.
2. أن بيان المعاني القرآنية بالحديث النبوي الشريف يتفق تمام الاتفاق مع مناسبات النصوص، وزمان ورودها ووقوعها؛ ليتحقق بذلك توافق نصي بين النصوص القرآنية المكية والمدينة بخصائصها العامة والخاصة مع عبارات الحديث وتراكيبه طولاً واختصاراً.
3. هذا النوع من الاتفاق والتوافق الدلالي بين نصوص القرآن الكريم وعبارات الحديث الشريف يمكن أن نسميه ببلاغة النورين **[القرآن والحديث]** وهو منحى جديد في البحث الأسلوبي يمكن من خلاله تناول عدة قضايا دلالية وأسلوبية وتركيبية في البحث الأسلوبي اليوم.
4. هناك معان تفسيرية لألفاظ قرآنية ترد دلالتها في الحديث النبوي الشريف تارة بالاتفاق وفي أحيان كثيرة تتسع وتتفرع إلى دلالات أخرى، وكلا هذين الجانبين **[الاتفاق والتوسع]** يمكن أن نسميه بالمعاني التفسيرية أو المعاني الحديثية او النبوية؛ لما لها من خاصية كبيرة في إثراء المعجم اللغوي، وكذلك في دلالات التراكيب.
5. من المعالجات الدقيقة لبلاغة النورين في كتب الحديث وشروحه ما نجده عند العلامة **أبي العباس أحمد بن محمد القرطبي** في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، وكذلك ما نجده عند تلميذه العلامة الفقيه **أبي عبد الله أحمد بن محمد القرطبي** في كتابه الجامع لأحكام القرآن، حيث تحدثا في هذا الموضوع بإسهاب ومقارنة تركيبية بين جمل الحديث الشريف ومعانيها المتفقة مع الدلالة القرآنية اتفاقاً وتوسعاً.
6. قدم كل من **أبي العباس القرطبي** صاحب المفهم، وتلميذه أبي عبد الله القرطبي جملة من المصطلحات الجديرة بالعناية والبحث، وهي:
   - **مصطلح الانتزاع.**
   - **مصطلح الانتظام.**
   - **مصطلح البيان.**
7. إن تبني مثل هذه الدراسة التي تبحث في بلاغة النورين **[القرآن والحديث]** يعزز قيمة الإعجاز القرآني وصدق الوحي، وصدق المبلغ؛ لأن دراسة الحديث الشريف وتراكيب أساليبه من خلال معانيها الواردة في القرآن الكريم بقسميه المكي والمدني سيضعنا أمام قيم أسلوبية ونصية جديدة، كما ستظهر من خلالها قيمة علوم العربية، وكذلك علوم القرآن والسنة.

* * * * * * * * * * * * * * *

الهوامش

1. **نفحة المسك الداري لقاري صحيح البخاري**، ص79-80.
2. **نفحة المسك الداري لقاري صحيح البخاري**، ص80 بتصرف.
3. **الجامع لأحكام القرآن**، 1/ 65، كما تجدر الإشارة هنا إلى القيمة العلمية لهذا التفسير الكبير والقضايا اللغوية والأسلوبية والبلاغية فيه، وقد اعتنى بذلك كله أحد علماء بنغازي العلامة المحقق المرحوم إبراهيم أحمد الناظوري حيث وضع مجلداً ضخماً اعتنى فيه بتفسير الإمام القرطبي وعنوانه: **تجريد أبيات المعاني والشواهد اللغوية والأدبية في تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي**
4. محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 213/1.
5. يقول العجلوني رحمه الله:" معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ، وأورده أصحاب الغريب، ولا يعرف له إسناد" **كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على لسان الناس**، 232/1، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 31/1.
6. الحديث رواه الإمام أحمد، **المسند**، **67/3**.
7. الحديث أخرجه البخاري، **ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم[5376]، 6/ 702.
8. **المصدر نفسه**، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، حديث رقم[34]، 34/1.
9. البيهقي، **دلائل النبوة**، 313/1.
10. الحديث رواه الترمذي، **الشمائل المحمدية**، ص 191.
11. الآية من سورة النجم، رقم [4].
12. الآية من سورة الشعراء، رقم [193، 194].
13. الحديث أخرجه البخاري، ينظر **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، حديث رقم [7273]، 261/12.
14. سورة الجن، الآية رقم[1،2].
15. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،**49/10**.
16. سبق تخريجه
17. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**،**12/ 418**.
18. الآية من سورة البقرة، رقم **[179]**.
19. **الجامع لأحكام القرآن**، 2/،163، وأحمد شاكر، **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**، **213/1**.
20. الآية من سورة النور، رقم [52].

21. **الجامع لأحكام القرآن، 12/ 193.**
22. **المصدر نفسه، 19/ 36.**
23. **جامع العلوم والحكم، ص3.**
24. **المصدر نفسه، ص5.**
25. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 5/ 341.**
26. ينظر **التطبيقات اللغوية على الأمثال النبوية**، ص 11.
27. البغدادي، **خزانة الأدب**، 1/ 11-12.
28. محمد عبد الحي الكتاني، **الرسالة المستطرفة في بيان كتب السنة المشرفة**، ص3.
29. يقول شيخ الجماعة بالرباط العلامة البطاوري رحمه الله:" فأما القرآن فلا خلاف بين العلماء في الاستشهاد بمتواتره وشاذه كما لابن جني في أول كتابه المحتسب، وأما الحديث فقد جوز الإمام ابن مالك الاستشهاد به، ومنعه الشيخ أبو حيان؛ لتجويز رواية الحديث بالمعنى فلا يتحقق أنه لفظ كلامه صلى الله عليه وسلم ولذلك ترك الإمام سيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات قواعد العربية بالحديث قال ابن الضائع: ولولا تصريح العلماء بجواز نقل الحديث بالمعنى لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أفصح العرب" ينظر، **التنصيص على شواهد التلخيص**، ص65.
30. **المقدمة في علوم الحديث**، ص397.
31. **الفائق في غريب الحديث**،12/1.
32. سيأتي تعريف هذين المصطلحين قريباً ضمن مصطلحات الدراسة.
33. محمد الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، 1/ 125.
34. ابن زاكور الفاسي، **الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع**، ص 229.
35. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: سلب، 4/ 637.
36. محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 552/2.
37. رفيق العجم، **معجم مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين**، ص 181.
38. إميل يعقوب، **معجم المصطلحات اللغوية والأدبية**، ص55.
39. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 552/2-553، وأكتفي بتعريف العلامة الزرقاني للأسلوب والتركيب دون غيره؛ لأنه الأليق بكتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم.
40. أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية**، ص 420.
41. السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص425، والكرماني، **تحقيق الفوائد الغياثية**، 800/2.
42. ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، ص8 بتصرف.
43. صبحي الصالح، **علوم الحديث ومصطلحه**، ص3-5.
44. المصدر نفسه، ص12 وما بعدها.
45. **الكليات**، ص288.

46.عبد الحليم عويس، **مصطلحات علوم القرآن**، 136/3، والزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، 36/1

47.**الجامع لأحكام القرآن**، 19/ 36.

48.ولي بحول الله تعالى وتوفيقه قريبا بحث بعنوان بلاغة القرآن والحديث عند القرطبيين أبي العباس صاحب المفهم وتلميذه صاحب التفسير.

49.الحديث رواه البخاري، **الجامع الصحيح [فتح الباري]**، كتاب بدء الوحي، حديث رقم [1]، 11/1.

50.الحديث رواه البخاري، **الجامع الصحيح [فتح الباري]** كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم [51] 1/ 155.

51.الحديث رواه مسلم في صحيحه، ينظر **الجامع الصحيح**، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وزينتها، حديث رقم: [1015]، 120/4.

52.الحديث رواه الترمذي، ينظر **السنن**، كتاب الزهد، باب الزهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: [2318]، 558/4.

53.ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، ص12، **ومقدمة سنن أبي داوود**، 35/1.

54.**الجامع الصحيح [فتح الباري]** 8/1 وما بعدها.

55.**عمدة القاري في شرح صحيح البخاري**، 1/ 15-16.

56.**جامع العلوم والحكم، ص14**.

57.**المصدر نفسه**، ص15.

58.ابن منظور، **لسان العرب**، مادة نوى، 758/8-759، والراغب الأصفهاني، **مفردات القرآن**، ص398.

59.الآية من سورة النحل، رقم [89].

60.الآية من سورة النساء، رقم [176].

61.الآية من سورة النحل، رقم [44].

62.الآية من سورة التوبة، رقم [115].

63.الآيتان [63، و64] من سورة النحل، وقد تميز هذا الموضع بأن تضمن الإشارة إلى الرسل قبل النبي صلى الله عليه وسلم وكتبهم المنزلة عليهم؛ مما يؤكد حقيقة جوامع الكلم في القرآن الكريم وتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بها، وسيأتي بيان مثل ذلك قريبا في هذا الكتاب.

64.يقول العلامة البقاعي:" بالبينات المعرفة بصدقهم، والزبر أي الكتب الهادية إلى أوامر مرسلهم، ولما كان القرآن أعظم الأدلة أشار إلى ذلك بذكره مدلولا على غيره من المعجزات بواو العطف، فقال عاطفاً على تقديره وكذلك أرسلناك بالمعجزات الباهرات، وأنزلنا أي لنا من العظمة إليك أي وأنت أشرف الخلق ، الذكر أي الكتاب الموجب للذكر المعلى للقدر الموصل إلى منازل الشرف؛ لتبين للناس: كافة بما أعطاك الله من الفهم الذي فقت فيه جميع الخلق واللسان الذي هو أعظم الألسنة

وأفصحها وقد أوصلك الله فيه إلى رتبة لم يصل إليها أحد، ما نزل: أي وقع تنزيله إليهم من هذا الشرع الهادي إلى سعادة الدارين بتبيين المجمل وشرح ما أشكل من علم أصول الدين الذي هو التوحيد والبعث وغيره، وهو شامل لبيان الكتب القديمة لأهلها ليدلهم على ما نسخ، وعلى ما بدلوه فمسخ، ولما كان التقدير لعلهم بحسن بيانك يعلمون؛ عطف عليه بيانا لشرف العلم قوله تعالى{ لعلهم يتفكرون}. **نظم الدررفي تناسب الآيات والسور**، 4/272-273.

65. سورة المؤمنون، الآية رقم [51].

66. سورة البقرة، الآية رقم [172].

67. **الجامع لأحكام القرآن**،12/ 82.

68. كقوله تعالى: {وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ} أي الذين كانوا يتامى؛ لأنهم سموا يتامى بعد البلوغ. بدوي طبانة، **معجم البلاغة العربية**، 2/ 515، وقد مثل له القرطبي رحمه الله بقوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ} والمقصود به نعيم بن مسعود ينظر أيضاً السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 2/610.

69. الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، ينظر **الجامع الصحيح**، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، حديث رقم: [1686]،1/100.

70. الحديث أخرجه البخاري، ينظر **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، باب الرفق في الأمر كله، حديث رقم: [5678]، 16/298.

71. ينظر **الجامع لأحكام القرآن**،12/82، وابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، ص144.

72. ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، ص144، في هذه الأحاديث الأربعة دلالة لغوية تشترك فيها معاني الأحاديث النبوية ذات الموضوع الواحد بدليل قول ابن أبي زيد رحمه الله عنها بأن فيها جماع أبواب الخير، كما قيل في الأحاديث الأربعة الأولى إنها أصل في كل أمور الدين وأبوابه.

73. **جامع العلوم والحكم**، ص 145-146.

74. سورة ق، الآيات [16-17-18].

75. سورة يونس، الآية رقم [61].

76. سورة الزخرف، الآية رقم [80]

77. سبقت الإشارة إلى كتاب العلامة برهان الدين البقاعي وتفسيره **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** إذ يُعَدُ هذا الكتاب فريداً في هذا الباب منهجاً ومادةً، وللدكتور أحمد بوزيد دراستان قيمتان لموضوع التناسب في القرآن والحديث، بعنوان: **التناسب البياني في القرآن الكريم، والتناسب البياني في الحديث الشريف**.

78. مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم [1]، 1/157.

79. **جامع العلوم والحكم**، ص 52.

80.سورة البقرة، الآية رقم [177].

81.سورة البقرة، الآية رقم [3].

82.سورة المائدة، الآية رقم [83].

83.سورة الكهف، الآية رقم [20]

84.سورة البقرة، الآية رقم [112].

85.سورة الشعراء، الآيات رقم [192، 193، 194]

86.الحديث رواه مسلم، ينظر **الجامع الصحيح**، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم [8]، 198/1.

87.**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، 221/1-222.

88.مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الرقاق، باب ما جاء في مغفرة الله، حديث رقم: [1567]، 12/8.

89.المصدر نفسه، كتاب الرقاق، باب ما جاء في مغفرة الله،

90.**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب الإمام مسلم**، 7/ 82-83.

91.**المصدر نفسه**، 7/ 82.

92.سورة الأعراف، الآية رقم [156].

93.ابن منظور، **لسان العرب**، مادة خلق، 196/3.

94.**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب الإمام مسلم**، 83/7.

95.سبق تخريجه ينظر المبحث الثاني

96.سورة يونس، الآية (25).

97.البلاغة هي مطابقة الكلام مقتضى الحال، والحال يسمى المقام، وهو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى، والمقتضى هو الاعتبار المناسب لورود العبارة" بدوي طبانة، **معجم البلاغة العربية**، 1/ 456.

98.ابن منظور، **لسان العرب**، مادة صرط، 37/5.

99.أحمد شاكر، **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**، 1/ 66.

100. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 1 / 65،

101. **مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين**، 23/1.

102. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة بوب، 1/ 545.

103. **لسان العرب، مادة سور، 744/4**.

104. سورة الأحقاف، الآية رقم [30].

105. البخاري، **الجامع الصحيح، بشرح ابن حجر**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم [7281]، /

106. سورة فصلت، الآية رقم [27].

107. سورة الأحزاب، الآية رقم [45].

108. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 13/ 269-270.

109. ابن القيم، **مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين**، 514/1.

110. رواه البخاري، **الجامع الصحيح بشرح ابن حجر**، كتاب الجهاد، باب لا تتمنوا لقاء العدو، حديث رقم [3025]، 6/ 175.

111. سورة آل عمران، الآية رقم [142].

112. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 2/ 145.

113. ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، 6/ 175.

114. "وهو أن يسرد الناظم أو الناثر كلامهما في مقصد من المقاصد غير قاصد إليه بانفراده، ولكنه سبب إليه، ثم يخرج فيه إلى كلام هو المقصود بينه وبين الأول علقة ومناسبة، وهذا نحو أن يكون الشاعر مستطلعاً لقصيدته بالغزل حتى إذا فرغ منه خرج إلى المدح على مخرج مناسب للأول، بحيث يكون الكلام آخذا بعضُهُ برقاب بعض كأنه أفرغ في قالب واحد، والتخلص في النثر أسهل منه في النظم؛ لأن الناظم يراعي القافية والوزن" بدوي طبانه، **معجم البلاغة العربية**، 1/ 243.

115. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 525/3-526.

116. بدوي طبانة، **معجم البلاغة العربية**، 1/ 121.

117. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة كنى، 5/ 114، وبدوي طبانة، **معجم البلاغة العربية**، 2/

118. دلائل الإعجاز، ص 66.

119. البطاوري، **التنصيص على شواهد التلخيص**، 1/ 192.

120. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، 1/ 419.

121. ويسمى حسن الانتهاء، وهو أن يكون آخر الكلام مستعذباً حسناً؛ لتظهر لذته في الأسماع، مؤذناً بالانتهاء بحيث يبقى المستمعون يحسون ببلاغة المتكلم ويتمنون الاستزادة من حديثه. بدوي طبانة، معجم **البلاغة العربية**، 194/1.

ثبت المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم**.
2. **الإتقان في علو القرآن**، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد مرسي عبد الحميد، ومحمد عوض هيكل، دار السلام للنشر والتوزيع، ط2، 1431هـ-2010م.
3. **أصول تحليل الخطاب (تأسيس نحو النث)**، محمد الشاوش، جامعة منوبة، تونس، الطبعة الأولى – 1421هـ -2001م.
4. **تجريد أبيات المعاني والشواهد** من تفسير القرطبي، للشيخ إبراهيم الناظوري، [مخطوط].
5. **تحقيق الفوائد الغياثية**، لشمس الدين الكرماني،

6. **تفسير القرآن العظيم**، للحافظ ابن كثير الدمشقي، وضع حواشيه محمد حسن شمس الدين . دار الكتب . بيروت . الطبعة الأولى . 1998 م.
7. **التنصيص على شواهد التلخيص**، لأبي حامد المكي البطاوري، دراسة وتحقيق أحمد مصباح اسحيم، منشورات جامعة المرقب، ط1، 1432هـ-2013م.
8. **الجامع الصحيح**، للإمام مسلم، تحقيق حازم محمد، وعماد عامر – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الثانية 1419هـ-1998م.
9. **جامع العلوم والحكم**، لابن رجب الحنبلي، جمع أحاديثه وعلق عليه عصام الدين الصبابطي، دار الحديث القاهرة، 1424هـ-2004م.
10. **الجامع لأحكام القرآن**، للإمام القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 5، 1417 هـ - 1996م.
11. **دلائل النبوة، للإمام البيهقي**، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
12. **الرسالة المستطرفة**، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، ط 4، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1406 هـ-1986م.
13. **سنن أبي داوود**، لأبي داوود سليمان بن الأشعث، فهارس أعدها مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 1420 هـ -1999م.
14. **الشمائل المحمدية**، للإمام الترمذي، خرج أحاديثه عزت عبيد الدعاس، مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر، حمص، د.ت.
15. **الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع**، لابن زاكور الفاسي، تقديم وشرح بشرى البداوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2002م.
16. **علوم الحديث ومصطلحه**، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، لبنان، ط 24، 2000م.
17. **عمدة التفسير من تفسير الحافظ ابن كثير**، للعلامة أحمد شاكر، دار ابن حزم، ط2، 1426هـ-2005م.
18. **عمدة القاري في شرح صحيح البخاري**، لبدر الدين العيني،
19. **الفائق في غريب الحديث، للإمام الزمخشري**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد على البجاوي، ط2، مصر د.ت.
20. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، موافقة لترقيم وتبويب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، مع تعليقات الشيخ عبد العزيز بن باز، مكتبة الصفا، ط1، 1425 هـ - 2003م.

21. **كشف الخفا ومزيل الإلباس مما اشتهر**،

22. **لسان العرب**، لابن منظور، طبعة مصورة عن مطبعة بولاق، الدار المصرية للترجمة، د.ت.

23. **مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين**، لابن القيم، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2422هـ-2001م.

24. **المسند**، للإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت.

25. **معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة**، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، ط1، 1395 هـ-1975م.

26. **معجم المصطلحات البلاغية**، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، ناشرون، ط2، 1996م.

27. **مفتاح العلوم**، للسكاكي، تقديم وتحقيق نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – 1403 هـ-1983م.

28. **مفردات القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق – الطبعة الثانية – 1423هـ-2002م.

29. **المفهم لما أشكل** من تلخيص كتاب الإمام مسلم، لأبي العباس القرطبي،

30. **المقدمة في علوم الحديث**، لابن الصلاح، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987م.

31. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث، بيروت لبنان، ط1، 1416هـ-1995م.

32. **موسوعة مصطلحات أصول الفقه**، رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت – الطبعة الأولى – 2001م.

33. **نظم الدرر في تناسب الآيي والسور**، لبرهان الدين البقاعي، – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – تصليح وتعليق محمد عمران الأعظمي وقرأ ملازمه السيد محمد عطاء الله النقشبندي – دائرة المعارف العثمانية – الطبعة الأولى – د. ت.

34. **نفحة المسك الداري** لقاري صحيح البخاري، لأبي الفيض حمدون بن الحاج الفاسي، تحقيق وتعليق د. محمد بن عزوز، دار ابن حزم، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1429هـ -2008م.

* * * * * * * * * * * * * * *